MEDECINS SANS FRONTIERES

أطبّاء بلا حدود

حرب على الإنسان

التكلفة الإنسانية للنزاع والعنف في السودان

فهرس

تمهيد 1
أطباء بلا حدود في السودان 2
ملخص تنفيذي 3
مقدّمة 6
المنهجية 7
العنف في مناطق النزاع النشطة: 8
تكلفة القتال العشوائي 9
المرافق الصحية المتضررة وغير الآمنة 12
هروب قسري: عنف داخل المنازل وعلى طول طرق النزوح 15
عمليات نهب, وحرائق متعمدة وعنف ضدّ الناس داخل منازلهم 16
مضايقات وانتهاكات عند نقاط التفتيش 18
عمليّات اختطاف واحتجاز وأعمال عنف قد ترقى إلى مستوى التعذيب 19
العنف الجنسي والقائم على النوع الاجتماعي 21
العنف القائم على دوافع إثنيّة 23
آثار العنف: التداعيات على صحّة المدنيين 25
المضاعفات الصحيّة وانقطاع علاجات الأمراض المزمنة 26
تدهور الصحّة العقليّة والرفاه النفسي 28
خاتمة ودعوات للعمل 30

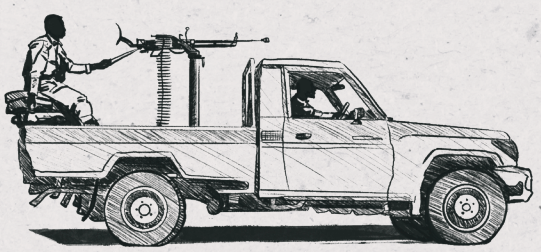

تمهيد

لا تظهر أيّة علامات على تراجع العنف في السودان، بل إنّه يشتد بوتيرة تفوق قدرتنا على معالجة الأحداث اليومية التي تعيشها فرقنا ومرضانا في السودان وتوثيقها والاستجابة لها.

وبينما كنتُ أكتبُ هذا التمهيد، ظل أفراد طاقمنا ومرضانا يدفعون ثمن هجمات تزداد عبثية وعنفًا على المرافق التي ندعمها. ففي مايو/أيار، انهار مستشفى للأطفال في الفاشر، كان يستضيف 115 طفلًا مريضًا يعانون من سوء التغذية، بسبب غارة جوية شنتها القوات المسلحة السودانية. ومن بين الأطفال ومقدمي الرعاية الذين لم يتمكنوا من الفرار من المرفق، دُفن ثلاثة تحت أنقاض وحدة العناية المركزة بعد أن ضربت غارة جوية ثانية السقف في اليوم التالي.

وقد عالجت فرق أطباء بلا حدود 707 جرحى خلال عشرة أيام فقط، وما زالت فرقنا مستمرة في إحصاء عدد القتلى. وبعد أقل من شهر، أُغلق مستشفى الجنوب في الفاشر كليًا، والذي تدعمه أطباء بلا حدود، بعدما اقتحمته قوات الدعم السريع ونهبته وأطلقت النار في أرجائه. استُهدف المستشفى بقذائف الهاون والأعيرة النارية عدة مرات قبل ذلك بأسبوعين، مما تسبب بمقتل شخصين وجرح أربعة عشر آخرين، وأجبر أطباء بلا حدود على إجلاء الطاقم والمرضى. وقبل ذلك في مايو/أيار، اضطرت فرق أطباء بلا حدود في ود مدني إلى المغادرة وأوقفت عملياتها في مرفق الرعاية الصحية المتخصصة الوحيد الذي يعمل في المنطقة، بسبب عدم تمكنها من العمل بأمان. ولم تتمكّن أيضًا من إدارة الأنشطة بسبب العرقلة المستمرة من قبل السلطات السودانية لوصول الفرق والإمدادات الطبية. ولم يعد بإمكانها علاج المرضى إثر الهجمات المتعمدة وعدم احترام بعثتنا الطبية. ومع دخول السودان عامه الثاني من النزاع، فإنّ الاستجابة الجماعية اللازمة لمواجهة هذه الحالة الطارئة غير كافية أو غائبة تمامًا.

في حين أنّ العوائق أمام وصول المساعدات الإنسانية كبيرة ومتكررة. ولا تزال المستشفيات تتعرّض للضرر أو النهب، ويُقتل ويُنتهك المزيد من المدنيين، ويُترك المزيد من الأطفال الذين يعانون من سوء التغذية ببطون خاوية. والثمن الذي يدفعه المدنيون في هذه الحرب يحوّل النزاع بين الفصائل المتحاربة إلى حرب على السودانيين.

ووسط الصعوبات التي تواجهها المنظمات الإنسانية ووسائل الإعلام الدولية للوصول إلى الميدان أو الحفاظ على وجودها، فإنّ هذا التقرير هو احترام لواجبنا الإنساني القائم على مبدأ الإدلاء بالشهادة على فظائع هذه الحرب، وتوضيح تأثيرها الطبي على السكان وعلى أولئك الذين يعملون بلا هَوادة لمساعدة المحتاجين.

وليس المقصود من هذا التقرير أن يكون سردًا ثابتًا للأحداث، بل وسيلة لتسليط المزيد من الضوء والشروع في اتخاذ خطوات أكثر تضافرًا. وإلّا فهو مجرد تمهيد لصورة قاتمة للأشهر القادمة.

فيكي هوكينز
المدير العام
أطباء بلا حدود – مركز عمليات أمستردام

أطباء بلا حدود في السودان

تعمل أطباء بلا حدود في السودان منذ عام 1979. واستجابة لحدة النزاع، تعمل فرق أطباء بلا حدود حاليًا في تسع ولايات في جميع أنحاء السودان، حيث تقدّم المساعدة المنقذة للحياة للسكان المتضررين من العنف والنزوح وتعطّل النظام الصحي في جميع أنحاء البلاد. وتدعم المنظمة 20 مستشفى تابعًا لوزارة الصحة وأكثر من 10 عيادات ومراكز رعاية صحية أولية، وتدير مستشفيَيْن بشكل كامل، وتنشر عيادات متنقلة للوصول إلى الأشخاص الأشد حاجة في جميع أنحاء البلاد. وتوظف أطباء بلا حدود أيضًا حوالي 1,072 عضوًا من الطاقم المحلي في السودان، ولديها أكثر من 135 عضوًا من الطاقم الدولي يعملون حاليًا في السودان، وتدفع حوافز لأكثر من 2,618 عضوًا من طاقم وزارة الصحة لدعم النظام الصحي الوطني.

وفي الفترة الواقعة ما بين 15 أبريل/نيسان 2023 و15 أبريل/نيسان 2024، قامت المستشفيات والمرافق الصحية والعيادات المتنقلة التي تدعمها أطباء بلا حدود بتقديم ما يلي:

- تقديم أكثر من 500 ألف **استشارة طبية.**
- تقديم الرعاية لأكثر من 100 ألف مريض بالملاريا.
- علاج أكثر من ألفي شخص من الكوليرا والآلاف من حالات الحصبة.
- المساعدة في إجراء أكثر من 8,400 عملية ولادة وإجراء 1,600 عملية قيصرية.
- دعم العلاج لأكثر من 30 ألف طفل يعانون من سوء التغذية الحاد.
- علاج الآلاف من جرحى الحرب الذين أصيبوا جراء القصف والقصف المدفعي والشظايا.
- الاستجابة في تشاد وجنوب السودان حيث لجأ أكثر من مليون شخص.

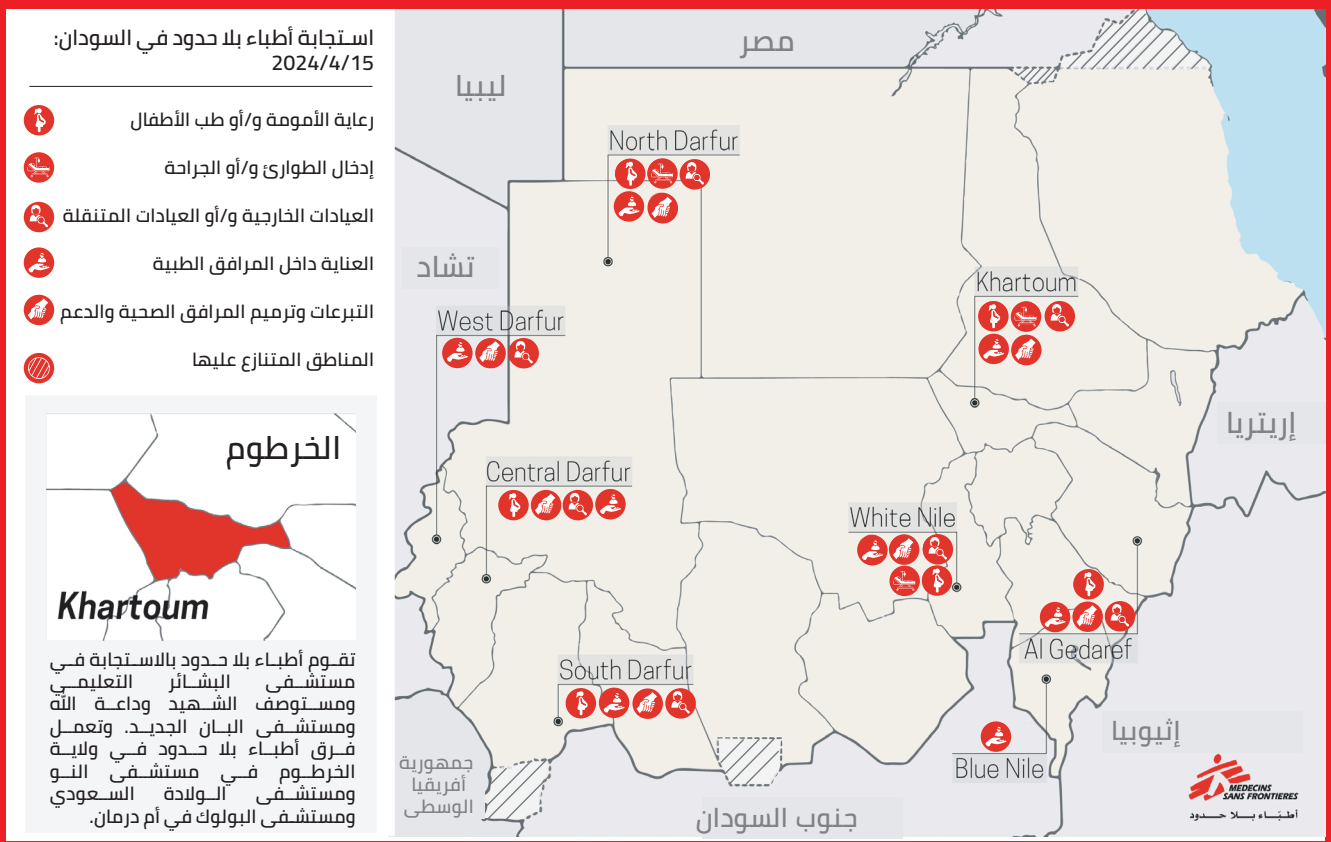

ملخص تنفيذي

كارثية هي العواقب المترتبة على أكثر من عام من النزاع الشامل على صحة الناس في السودان. حيث واجه السكان مستويات مروعة من العنف، وعانوا من قتال واسع النطاق ونجوا من الهجمات المتكررة والانتهاكات والاستغلال من قبل القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع. وبالاعتماد على البيانات الطبية والتشغيلية التي جُمِعت في الفترة الواقعة ما بين 15 أبريل/نيسان2023 حتى 15 مايو/أيار 2024، يسلّط هذا التقرير الضوء على أنماط العنف التي لاحظتها فرقنا، وسمات الانتهاكات التي تشكل هذا النزاع، والعواقب الصحية المترتبة على السكان المتضررين.

وفي مناطق النزاع النشطة في الخرطوم وفي جميع أنحاء ولايات دارفور، تدعم أطباء بلا حدود المستشفيات وأجنحة الطوارئ القليلة المتبقية العاملة في السودان. وتعالج فرقنا الآلاف من جرحى الحرب في المواقع المتضررة من تبادل إطلاق النار والقصف واسع النطاق

حيث تعرضت المنازل والمرافق الصحية والبنية التحتية الأساسية للقصف والتدمير وأصبحت غير صالحة للعمل. وفي الفترة ما بين 15 أغسطس/آب 2023 وحتى 30 أبريل/نيسان 2024، استقبل مستشفى النوّ في أم درمان - وهو أحد المرافق الثمانية التي تدعمها أطباء بلا حدود في ولاية الخرطوم - ما مجموعه 6,776 جريح حرب، أيّ بمتوسط 26 جريح حرب يوميًا، بسبب الطلقات النارية (53 في المئة)، والشظايا (42 في المئة)، وعمليات الطعن (5 في المئة). وتوفي ما لا يقل عن 399 منهم متأثرين بجراحهم. ولم يسلم النساء والأطفال، الذين يشكلون ما يقرب من 30 في المئة من جرحى الحرب البالغ عددهم 624 جريحًا في شهر مارس/آذار 2024 وحده. وفي الفترة ما بين مايو/أيار 2023 وحتى أبريل/نيسان 2024، عالجت فرق أطباء بلا حدود في مستشفى بشائر التعليمي في الخرطوم 4,393 مريضًا يعانون من الإصابات البالغة، أيّ ما يعادل 42 في المئة من جميع استشارات قسم الطوارئ خلال فترة تحليل البيانات.

تأثرت إمكانية حصول الناس على الرعاية المنقذة للحياة بشكل كبير في جميع أنحاء السودان بسبب النقص الحاد في التزويدات الطبية, وعرقلة إيصال الإمدادات الطبية على نطاق واسع بالإضافة إلى نهبها, وانعدام الأمن والهجمات ضد المرضى والطاقم الطبي, وانتهاكات البروتوكولات الطبية في المستشفيات, والأضرار الهيكلية التي لحقت بالبنية التحتية للرعاية الصحية. وقد تعرّض مستشفى النّو للقصف في ثلاث حوادث منفصلة في أغسطس/آب وأكتوبر/تشرين الأوّل 2023, ويونيو/حزيران 2024, ممّا أدى إلى نقص في إمكانية توفير الخدمات المنقذة للحياة. وفي يوليو/تموز 2023, قُتل أحد العاملين في الرعاية الصحية في المستشفى السعودي للتوليد الذي تدعمه أطباء بلا حدود بالرصاص داخل جناح الولادة, ممّا أدى إلى إغلاق المرفق. وهكذا فلا يوجد أيّ مكان آمن للسكان المحاصرين في مناطق النزاع الساخنة في السودان, ممّا أجبر الملايين على الفرار. وفي المخيمات ومواقع التجمّع التي يبحث فيها اللاجئون والنازحون عن الأمان, يروي مرضى أطباء بلا حدود قصصًا مروعة عن المعاملة اللاإنسانية والعنف الذي ترتكبه الجماعات المسلحة ضد السكان المدنيين. وتصف روايات الناس حالات ممنهجة من الإخلاء القسري, والنهب والحرق العمد, والاستجواب المهين, والاعتقال التعسفي, والاختطاف والتعذيب - كل ذلك على خلفية الشكوك المتزايدة حول أولئك الذين يحاولون الفرار والوصول إلى مناطق أكثر أمانًا.

1 يُعرف حاليًا باسم معسكر أبوتينجي.

ينتشر العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي,ولكن لا يُبلَغ عنهما بشكل كبير بسبب الوصمة والصمت خوفًا من الانتقام وغياب خدمات الحماية والمساحات السرية التي تساعد على الإفصاح. وتشير البيانات الواردة من مرافق أطباء بلا حدود التي تدعم اللاجئين السودانيين في تشاد إلى انتشار استخدام العنف الجنسي كشكل من أشكال الحرب, ولا سيما ضد النساء والفتيات. وفي الفترة ما بين يوليو/تموز وديسمبر/كانون الأول 2023, لجأ 135 ناجية وناجيًا إلى فرقنا في أدري (تشاد), وكشفوا عن حالات اغتصاب واختطاف واستغلال ارتكبت في السودان أثناء النزاع. وفي 90 في المئة من الحالات, كان الجناة رجالاً مسلحين. وحسبما أفادت التقارير, اتخذ العنف بعدًا عرقيًا في غرب دارفور, واستهدف قبيلة المساليت, وشمل التهجير القسري, والقتل غير القانوني, وأشكالًا أخرى من المعاملة اللاإنسانية على يد قوات الدعم السريع والجماعات التابعة لها. وفي يونيو/حزيران 2023, عالجت فرق منظمة أطباء بلا حدود في تشاد أكثر من 800 جريح حرب في ثلاثة أيام, معظمهم من المساليت الذين فروا من مدينة الجنينة والمناطق المحيطة بها. وأظهرت دراسة مسحية للوفيات بأثر رجعي أجرتها أطباء بلا حدود بين أغسطس/آب وسبتمبر/أيلول 2023 في ثلاثة مخيمات للاجئين السودانيين في تشاد زيادة في الوفيات في جميع أنحاء المخيمات؛ وشهد مخيم أورانغ[1] زيادة بمقدار 20 ضعفًا في معدلات الوفيات منذ أبريل/نيسان 2023 فصاعدًا وبلوغ ذروتها في يونيو/حزيران, مقارنة بمعدلات ما قبل الأزمة. بالإضافة إلى ذلك, أشارت دراسة مسحية أجرتها أطباء بلا حدود في جنوب دارفور في فبراير/شباط ومارس/آذار 2024 إلى زيادة معدلات الوفيات , وتوصلت أيضًا إلى أنّ النزاع في شمال نيالا أدى إلى مضاعفة معدل الوفيات الخام, خاصة أثناء القتال العنيف في أكتوبر/تشرين الأول 2023.

1 من كل 3

مرضى تم معالجتهم من الإصابات الناتجة عن الشظايا والانفجارات في مستشفى النو خلال شهر مارس/آذار 2024

وأسفر النزاع الشامل الذي بدأ منذ أكثر من عام عن عواقب وخيمة على صحة الناس في السودان وسلامتهم. وقد تفاقمت الجروح الجسدية والنفسية الناجمة عن العنف بسبب انهيار النظام الصحي وندرة الاستجابة الإنسانية الدولية. وفي هذا السياق، تواصل فرق أطباء بلا حدود علاج الأشخاص ممن يفقدون حياتهم بسبب مضاعفات يمكن الوقاية منها لأنهم لم يتمكنوا من الوصول إلى المرافق في وقت مبكر أو شراء الأدوية، إذا كانت متوفرة. وتشهد فرق الصحة النفسية التابعة لأطباء بلا حدود الخسائر الهائلة الناجمة عن النزاع والعنف على الصحة النفسية للأشخاص وسلامتهم النفسية، حيث تؤدي الأعراض المرتبطة بالصدمة المنتشرة على نطاق واسع أحيانًا إلى إيذاء المرضى لأنفسهم.

© Fais Abubakr/Sudan

30%

من جرحى الحرب الذين تمت معالجتهم في مستشفى النو في أم درمان في مارس/آذار 2024 كانوا من النساء والأطفال تحت سن 10

مع استمرار أطباء بلا حدود في الاستجابة للاحتياجات الطبية العاجلة وعواقب العنف المستمر، والتي تفاقمت بسبب عدم وصول المساعدات الإنسانية وتجاهل الأطراف المتحاربة الصارخ للحياة البشرية والقانون الدولي الإنساني، تدعو أطباء بلا حدود إلى:

وقف الأطراف المتحاربة الهجمات على الأحياء السكنية، والسماح بالمرور الآمن وضمان الطرق الآمنة للأشخاص الذين يبحثون عن الحماية، وحماية البنية التحتية الحيوية من تعرضها لمزيد من التدمير والنهب.

وقف الأطراف المتحاربة جميع أشكال العنف والإساءة الموجهة ضد السكان وضمان عدم استخدام العنف العرقي والعنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي كأسلحة حرب.

تسهيل الأطراف المتحاربة إتاحة المساعدات على الفور والسماح بوصول المساعدات الإنسانية من دون عوائق وضمان وصول الإمدادات والموظفين إلى المحتاجين؛ ويجب إتاحة وصول المساعدات إلى المحتاجين عبر الحدود وخطوط المواجهة.

زيادة الدول الشريكة والهيئات الإقليمية الضغط على الأطراف المتحاربة في السودان لاحترام التزاماتها في ما يتعلّق بحماية المدنيين ومحاسبة من ينتهكون حقوق الإنسان ومبادئ حماية المدنيين.

تكرار الأمم المتحدة الرسائل المتعلقة بتعزيز واحترام القانون الدولي الإنساني وقانون حقوق الإنسان **وتضخيمها**، وزيادة الحضور الميداني لكبار مسؤولي الأمم المتحدة، وضمان رفع مستوى استجابات الحماية وتنسيقها بشكل مناسب.

توسيع المنظمات الإنسانية نطاق البرامج وتكييف الاستجابة في جميع القطاعات مع درجة تعقيد السياق التشغيلي في السودان.

مقدّمة

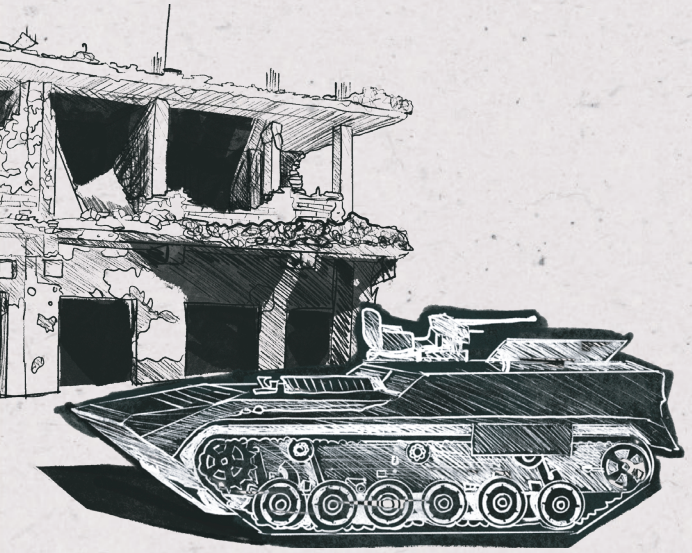

منذ اندلاع النزاع في أبريل/نيسان 2023، التمس أكثر من نصف مليون شخص الرعاية الطبية في المستشفيات والمرافق الصحية والعيادات المتنقلة التي تدعمها أطباء بلا حدود في جميع أنحاء السودان. وأثناء تقديم المساعدة الطارئة، شهدت فرقنا سقوط سكان البلاد في حلقات عنف طويلة وتدهور الظروف المعيشية. ومع دخول النزاع عامه الثاني، لا تزال الاحتياجات هائلة، حيث أنّ أكثر من 24.8 مليون شخص – ونصفهم من الأطفال – بحاجة إلى المساعدة، كما اضطر 8.7 مليون شخص إلى الفرار من منازلهم، ممّا أدى إلى أسوأ أزمة نزوح على مستوى العالم[2]. وقد زاد حجم الاحتياجات العاجلة وسط نقص كبير في التمويل[3]، والقيود على وصول المساعدات، وتحديات التنسيق، وتأخّر عودة منسقي المساعدات الدولية والمستجيبين إلى البلاد.

ويؤدي العنف المستمر ضد السكان إلى زيادة المعاناة. وقد أدى انهيار ضمانات الحماية وآلياتها لأولئك المتضررين من النزاع إلى تعريض ملايين الأشخاص في السودان للانتهاكات والعنف[4].

وبالرغم من الالتزامات التي تم التعهد بها في جدّة في مايو/أيار 2023، لا تزال أطراف النزاع تتجاهل التزامها بحماية أرواح المدنيين والبنية التحتية[5]، مع ما يترتب على ذلك من آثار كارثية على صحة السكان وسلامتهم. وعلى الرغم من الجهود التي تبذلها منظمات حقوق الإنسان للتحذير من انتهاكات حقوق الإنسان[6]، فلا تزال معالجة حجم العنف وطبيعته، فضلًا عن توثيقه، غير كافيَيْن، ويرجع ذلك جزئيًا إلى القيود المفروضة ذاتيًا والتي تقودها الدولة على وصول المنظمات الإنسانية الدولية والتغطية الإعلامية المحدودة.

في هذا الوضع الإنساني المعقد، حيث أن تدفق المعلومات محفوف بالمخاطر ويُعرقَل الوجود على الأرض، فعلى أطباء بلا حدود واجب أخلاقي وهو جوهر مبادئنا التأسيسية المبني على مبدأ تقديم الشهادة على العنف واستدعاء الأطراف المسؤولة.

يهدف التقرير إلى تسليط الضوء ووصف ما لاحظناه ومررنا به كمنظمة طبية إنسانية. ونأمل أن تغذي العناصر والاستنتاجات في هذا التقرير مناقشات أوسع حول حماية المدنيين في السودان، وتدفع التدقيق في انتهاكات حقوق الإنسان التي تتكشّف في البلاد، وتبقي السودان تحت الأضواء بعد مرور عام على النزاع. يكشف التقرير عن التكلفة الإنسانية للعنف والنزوح على سكان السودان كما لاحظتها فرقنا. فيعرض أولاً تفاصيل عواقب القتال الواسع النطاق والجامح في المناطق الحضرية المكتظة بالسكان، حيث تُظهر البيانات الواردة من المستشفيات التي تدعمها أطباء بلا حدود تأثير حرب المدن على حياة السكان العالقين في مرمى النيران. ويوثق أيضًا طبيعة العنف الذي ترتكبه الجماعات المسلحة ضد مرضانا وطاقم عملنا. وسواء تعرّض الأشخاص الذين تلقوا العلاج في عياداتنا ومستشفياتنا للهجوم في منازلهم أو على طول طرق النزوح، فقد روووا لنا قصصًا مروعة عن الاعتداءات والحرق المتعمّد والاختطاف وسوء المعاملة، فضلاً عن العنف الجنسي والعنف العرقي. وفي المناطق التي يصل إليها النازحون، تؤدي إعاقة الوصول إلى الرعاية والأدوية وخدمات الحماية إلى مضاعفات صحية وضغوط نفسية يمكن تجنبها. ومن خلال هذا التقرير، تستكشف أطباء بلا حدود عواقب العنف على صحة الناس، والندوب الكثيرة المرئية والخفية التي خلّفها وسيظل يخلّفها على مرضانا.

كذلك، تدق أطباء بلا حدود ناقوس الخطر بشأن سنة عصيّة على الفهم من العنف الذي عانى منه السكان في السودان، بعد أن تُركوا وسط نزاع مهمل دفعوا بسببه ثمنًا باهظًا. ومن دون وضع حد فوري للعنف وسوء المعاملة وضمان الاستجابة الإنسانية بما يتناسب مع الاحتياجات، سيظل الناس يعانون من عواقب النزاع غير المحمولة على صحتهم ورفاههم وسلامتهم.

2 مكتب تنسيق الشؤون الإنسانية، تقرير عن الوضع في السودان، 25 أبريل/نيسان 2024

3 بالرغم من التعهد بأكثر من 2 مليار دولار خلال المؤتمر الإنساني الدولي للسودان والدول المجاورة في باريس في أبريل/نيسان 2024، إلّا أنّ تمويل خطة الاستجابة الإنسانية لم يصل إلّا إلى 10% من الاحتياجات المقدّرة بعد المؤتمر.

4 هيئة مراقبة التأمينات والاحتياط الاجتماعي، "السودان: مخاوف الحماية: عشرة أشهر على الحرب"، 29 فبراير/شباط 2024

5 تقرير مجلس حقوق الإنسان عن الوضع في السودان، فبراير/شباط

6 في فبراير/شباط 2024، أصدر مجلس حقوق الإنسان تقرير عن الوضع يدين انتهاكات حقوق الإنسان من قبل طرفيّ النزاع. ونبهت جماعات حقوق الإنسان أيضًا إلى الانتهاكات التي ترتكبها الجماعات المسلحة، بما في ذلك من خلال تقرير منظمة العفو الدولية عن السودان.2024

المنهجية

يعتمد هذا التقرير على البيانات الطبية والتشغيلية التي جمعتها أطباء بلا حدود. ويغطي فترات زمنية محدّدة من بداية النزاع في أبريل/نيسان 2023 إلى مايو/أيار 2024, كما تم أيضاً الرجوع إلى البيانات التي ساهمت بها جميع أقسام أطباء بلا حدود العاملة في السودان. ويتبع جمع البيانات أطرًا زمنية محدّدة تتماشى مع الأولويات التشغيلية لأطباء بلا حدود في السياق المتقلّب لحالات الطوارئ (عرقلة الوصول, وانقطاع العمليات, والقيود التشغيلية والأمنية). بالإضافة إلى ذلك, يعتمد التقرير على 30 شهادة من مرضى وأعضاء طاقم أطباء بلا حدود جُمعت عبر مشاريعنا في السودان, وفي مخيمات اللاجئين والعائدين في تشاد, وعلى سفينة البحث والإنقاذ التابعة لأطباء بلا حدود في وسط البحر الأبيض المتوسط. وقد جُمعت الشهادات إمّا لتأكيد الطرح الذي أفضت إليه البيانات أو استكمالها باستخدام مجموعة من المعلومات النوعية.

جُمِعَت البيانات الطبية التي تُعنى بأغراض المسح الروتينية, وأُخفيت هوية أصحابها, واستُخدمت للتحليل مع ضمان الاحترام الكامل لأخلاقيات مهنة الطب وسرية المريض. ومع ذلك, من الصعب توفير تقدير واضح لعدد المدنيين الذين عالجتهم فرقنا. فوفقًا لما تقتضيه أخلاقيات مهنة الطب والقانون الدولي الإنساني, يتمتّع جميع المرضى الجرحى بوضع مدني, وبالتالي لا تستطيع فرقنا الطبية تصنيف المرضى حسب وضعهم العسكري. ويشير العدد الكبير من النساء والأطفال الذين يلتمسون الرعاية جراء الإصابات البالغة المرتبطة بالنزاع إلى أنّ عدد المدنيين الذين يلتمسون الرعاية في المرافق الطبية التابعة لأطباء بلا حدود لا يزال مرتفعًا.

وقد تم تدعيم تحليل البيانات من قبل عالم أوبئة متخصص لضمان مراقبة الجودة ومنعاً لأيّ تناقضات أو بيانات مفقودة يمكن أن تؤثر على الاتجاهات والنتائج العامة. وتتضمن البيانات التشغيلية الحوادث والعلامات التحذيرية التي شهدتها طواقم أطباء بلا حدود وبعثاتها في الميدان أو تأثرت بها بشكل مباشر, ممّا يضمن المصداقية العالية للأحداث المبلغ عنها.

اتبعت عملية المقابلة إرشادات أطباء بلا حدود وسياساتها. وبعد الحصول على موافقة مستنيرة من الشهود, تولى طاقم مؤهل مهمة جمع الشهادات التي أُخذت في أماكن سرية. وقد تم إبلاغ المرضى بطبيعة النشاط وحقهم في إيقاف المقابلة في أيّ وقت. وأُبلغوا أيضًا بحقهم في سحب موافقتهم بعد الانتهاء من المقابلة. وأبلغ القائمون على المقابلات الشهود بأنّ الشهادات قُدمت طوعًا ولن تكون مشروطة بالحصول على الرعاية الطبية. ولحماية مرضانا, أُجريت جميع المقابلات دون الإفصاح عن هويتهم, كما حُذِفت جميع المعلومات التي يمكن أن تشير إليهم. بالإضافة إلى ذلك, وافق المرضى على ما إذا كان يمكن استخدام ما يروونه لأغراض التواصل العام وإعداد التقارير. وأُجريت هذه المقابلات باللغة الإنجليزية أو العربية, بدعم من مترجِم من أطباء بلا حدود عند الضرورة.

لا تهدف النتائج الواردة في هذا التقرير إلى تقديم وصف شامل لحجم أعمال العنف المرتكبة في هذا النزاع ونطاقها, كما لا تهدف أيضًا إلى تضخيم الفظائع التي يرتكبها أيّ طرف أو مرتكب للجريمة أو تقليلها بشكل انتقائي. وفي حين ظهرت روايات الكثير من المرضى من خلال أنشطة أطباء بلا حدود في البلدان المجاورة التي تعتبر أماكن آمنة للإفصاح عن التجارب التي مروا بها, لا يزال الكثير من مرضانا يعيشون في بيئات عسكرية خاضعة للمراقبة, وهي مناطق تحت سيطرة الحكومة أو تحت تأثير قوات الدعم السريع والجماعات المتحالفة معها. ونتيجة لذلك, تظل الكثير من القصص مخفية أو مكتومة, بسبب الخوف من التداعيات. وتشير بياناتنا الطبية وملاحظاتنا وروايات المرضى إلى نطاق واسع من المسؤولية التي تقع على عاتق جميع الأطراف والأفراد في هذه الحرب, والتي تمتد إلى ما هو أبعد من محتوى هذا التقرير.

العنف في مناطق النزاع النشطة: تكلفة القتال العشوائي

كانت المراكز الحضرية ساحة معركة للصراع على السلطة بين القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع. وسرعان ما انتشرت الحرب التي اندلعت في الخرطوم في أبريل/نيسان 2023 – وهي مدينة يبلغ عدد سكانها 4.9 مليون نسمة – إلى المراكز الحضرية في ولايات دارفور، ثم في الجزيرة وعبر كردفان. وقد أدّت حركة الخطوط الأمامية النشطة عبر المناطق المكتظة بالسكان إلى محاصرة ملايين الأشخاص في منازلهم، وبالتالي منعهم من الفرار. وقد أصيب أو قُتل الآلاف الذين وقعوا ضحية الاشتباكات العنيفة. وبصرف النظر عن العنف العشوائي، استغل المقاتلون والجماعات المسلحة الفوضى الناجمة عن النزاع لمهاجمة ونهب منازل المدنيين والمرافق الصحية[7]، ممّا يحد من إمكانية الوصول إلى الرعاية الصحية.

> "عندما بدأ النزاع، كنتُ في أم درمان بالقرب من قاعدة لقوات الدعم السريع. كان القصف عنيفًا، وكنا جميعًا خائفين ونختبئ تحت السرير في كلّ مرة تضرب فيها الغارات الجوية الحي. [...] عندما خرجنا من المنزل، رأينا جثثاً في الشارع [...]. أُغلقت جميع المحلات التجارية، ونفذ كلّ الطعام، وانقطع التيار الكهربائي والمياه. [...]. ثم بدأت قوات الدعم السريع في التحقيق مع الجميع، كما تعرض الكثير من الناس للضرب".
>
> **أحد مرضى أطباء بلا حدود، كسلا، يناير/كانون الثاني 2024.**

7 بيان صحفي لمنظمة أطباء بلا حدود، "نهب مرافق منظمة أطباء بلا حدود وإعاقة الأنشطة الطبية بسبب العنف في السودان"، مايو/أيار 2023

© Mohammad Ghannam/Sudan

التكلفة الإنسانية للقتال في المناطق الحضرية على نطاق واسع

تدعم أطباء بلا حدود أكثر من 12 مرفق صحي في المناطق المتضررة من النزاع، بما في ذلك في أم درمان والخرطوم، وهي مواقع شهدت اشتباكات شديدة الحدة منذ بداية الحرب. وتعكس البيانات المستمدة من الاستشارات الطبية وتقارير مرضانا وطاقم عملنا حجم معاناة المدنيين، حيث يصل آلاف المرضى إلى غرفة الطوارئ بسبب الإصابات البالغة المرتبطة بالنزاع منذ بدايته. وفي جنوب دارفور، عادت فرق أطباء بلا حدود إلى نيالا في يناير/كانون الثاني 2024 حيث قدّمت الدعم إلى مستشفييّ كاس ونيالا التعليميَيْن، اللذَيْن يواصلان استقبال جرحى الحرب على الرغم من غياب الأعمال العدائية الواسعة النطاق.

وفي الفترة الواقعة ما بين العاشر من مايو/أيار 2024 و25 مايو/أيار 2024، استقبلت فرق أطباء بلا حدود الطبية التي استجابت لعواقب القتال الحالي في الفاشر 930 جريحًا في مستشفى الجنوب الذي تدعمه المنظمة، ممّا أدى إلى وفاة 123 شخصًا. ويشمل ذلك استقبال 160 إصابة في العاشر من مايو/أيار وحده، و130 إصابة في 12 مايو/أيار. ويشير انعدام الأمن هذا إلى أنّ معظم الناس ما زالوا غير قادرين على الوصول إلى أيّ من المرافق الطبية القليلة المتبقية. وفي 25 مايو/أيار، قُتل أحد أعضاء فريق أطباء بلا حدود عندما أصاب القصف منزله الواقع بالقرب من السوق الرئيسي في المدينة.

في مستشفى النوّ الذي تدعمه أطباء بلا حدود في أم درمان، عالجت الفرق الطبية أكثر من 6,776 مريضًا مصابًا بإصابات بالغة مرتبطة بالنزاع منذ منتصف أغسطس/آب 2023 حتى نهاية أبريل/نيسان 2024، بمتوسط أكثر من 26 مريضًا يوميًا، بما في ذلك أكثر من 3,607 إصابة بطلقات نارية (53 في المئة)؛ و2,850 جريحًا بشظايا (42 في المئة)؛ و319 حالة طعن (5 في المئة). وقد توفي ما لا يقل عن 399 جريح حرب متأثرين بإصاباتهم، من بينهم نساء وأطفال. وقد استُنزفت قدرات المستشفيات وطواقم العمل بالكامل، حيث أبلغت فرقنا عن أكثر من 100 استجابة لحوادث إصابات جماعية. وعلى مدى سبعة أشهر ما بين أغسطس/آب 2023 وأبريل/نيسان 2024[8]، أبلغ المستشفى عن وصول أكثر من 50 جريح حرب[9].

إلى غرفة الطوارئ في 15 يومًا منفصلاً، ممّا أدى إلى استنزاف الخدمات. وفي الفترة ما بين السادس والثامن من أغسطس/آب 2023، استقبل المستشفى أكثر من 430 جريح حرب؛ وأكثر من 100 مريض في يومَيْن منفصلَيْن على الأقل (الخامس من أكتوبر/تشرين الأوّل والرابع من نوفمبر/تشرين الثاني). ووصف أحد مقدمي الرعاية الصحية إحدى الاستجابات للإصابات الجماعية:

"سمعنا انفجارًا ولم نتمكن من تحديد مكانه. وعندما استقبلنا أوّل مجموعة من الناس، أبلغونا بوقوع إصابات جماعية وأنّ المزيد من الأشخاص يتدفقون نحو المستشفى. كان هناك قصف في الثورة 92، ووصل 110 ضحية إلى مستشفى النوّ بسبب هذا الحادث الذي أدى إلى سقوط عدد كبير من الضحايا. ووصل أيضًا حوالي 20 شخصًا وتوفوا بعد ذلك مباشرة، وبعضهم وصل ميتًا بالفعل. وجاء معظمهم بأيدي أو أرجل معلّقة ومبتورة. بعضها يحتوي فقط على جزء صغير من الجلد يبقي الطرفَيْن متصلَيْن معًا. وجاء أحد المرضى بساق مبتورة، وتبعه مقدّم الرعاية حاملاً الطرف المفقود في يده. حتى لو مررت بالقرب من المكان، كان بإمكانك رؤية الجرحى على الأرض. كان حمام دم في محيط المرفق بأكمله". أحد مقدمي الرعاية الصحية، أم درمان، شمال الخرطوم، مايو/أيار 2024.

© Fais Abubakr/Sudan

8 البيانات الأولية المتاحة عن الإصابات البالغة المرتبطة بالنزاع التي تمّ علاجها في غرفة الطوارئ في مستشفى النوّ، مصنفة حسب نوع الإصابة.

9 فيما يتعلّق بالبيانات الطبية المقدّمة، تمّ تعريف جرحى الحرب على أنّهم المرضى الذين أصيبوا بجروح ناجمة عن الإصابة بطلقات نارية أو شظايا أو التعرّض لعملية طعن.

منذ بداية عام 2024 وحتى نهاية أبريل/نيسان، استقبلت غرفة الطوارئ بمستشفى النوّ أكثر من 2,627 جريح حرب[10]، ممّا يشير إلى استمرار العنف وتأثيره على عامة السكان. وفي فبراير/شباط 2024، أدت حوادث الإصابات الجماعية مرتَيْن إلى قبول أكثر من 50 مريضًا يعانون من الإصابات البالغة المرتبطة بالنزاع (في 17 و19 فبراير/شباط).

لمحة عامة لشهر مارس/آذار 2024

عالج فريقنا في مستشفى النوّ ما لا يقل عن 624 من ضحايا الطلقات النارية أو الشظايا أو عمليات الطعن – بمعدل 20 جريح حرب يوميًا. وأُدخِل حوالي واحد من كلّ أربعة مرضى لتلقي الرعاية الجراحية (العدد = 2381) بسبب الإصابات البالغة المرتبطة بالنزاع. وتمثل الجروح الناجمة عن طلقات نارية معظم الاستشارات (62 في المئة)، تليها إصابات الانفجارات والقصف:

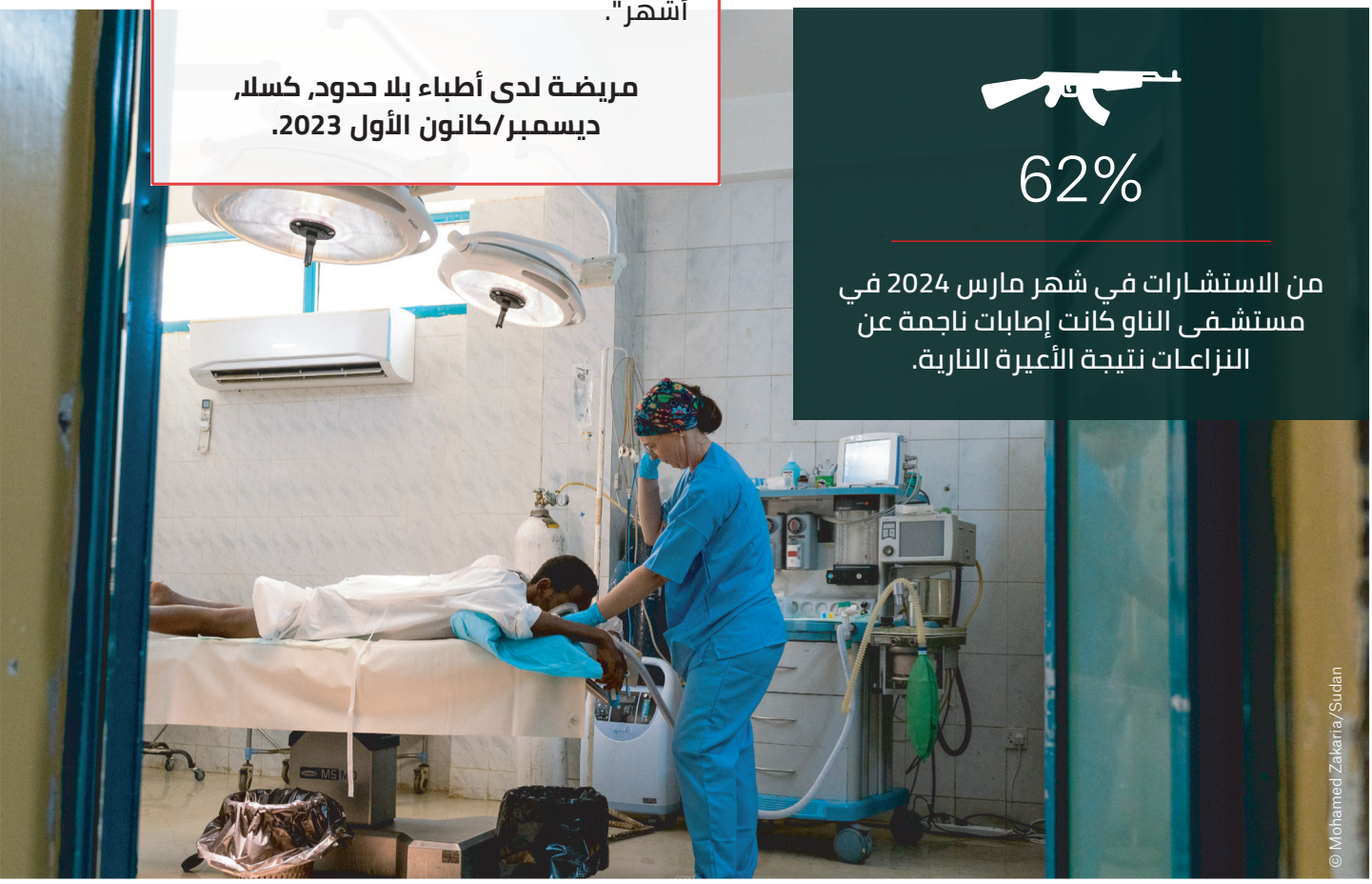

62%

من الاستشارات في شهر مارس 2024 في مستشفى الناو كانت إصابات ناجمة عن النزاعات نتيجة الأعيرة النارية.

© Mohamed Zakaria/Sudan

تشير البيانات المصنفة حسب الجنس والعمر المتاحة لشهر مارس/آذار 2024 إلى أنّ النساء والأطفال لم يسلموا من القتال. وشكلت النساء 25 في المئة من الحالات (العدد = 152)، والأطفال دون سن العاشرة 5 في المئة من إجمالي جرحى الحرب الذين أُدخِلوا (العدد = 30)[11] ووصفت مريضة لدى أطباء بلا حدود كيف أصيب طفلها بجروح خطيرة بعد مقابلتها في مواقع تجمّع النازحين في كسلا:

"تعرّض منزلنا للقصف ليلاً، ربما بسبب غارة جوية. لقد دُمّر بالكامل، وكانت جدرانه مغطاة بالرصاص. [...] أصيب طفلي بجروح دائمة في رأسه بسبب الانفجار، واضطر إلى الخضوع للكثير من العمليات الجراحية. وقد كان يعاني منذ أشهر".

مريضة لدى أطباء بلا حدود، كسلا، ديسمبر/كانون الأول 2023.

10 منها 1659 إصابة بسبب طلقات نارية، و857 إصابة بسبب عمليات تفجير، و111 إصابة بسبب عمليات طعن.

11 تمت إحالة أطفال آخرين إلى مستشفى البلوق لرعاية الأطفال وبالتالي لم يتمّ شمل معلوماتهم في هذه البيانات.

وصف أحد المرضى الذين قُوبلوا على متن سفينة البحث والإنقاذ التابعة لأطباء بلا حدود في البحر الأبيض المتوسط بعد فراره عبر تشاد وليبيا الساعات الأولى من القتال في الخرطوم يوم 15 أبريل/نيسان:

> "بدأ القتال بينما كنا في السوق العربي [الخرطوم] عند حوالي الساعة السابعة أو الثامنة صباحًا. بدأت مليشيات الدعم السريع بإغلاق الشوارع والمصارف وإيقاف الحافلات، ثمّ بدأ إطلاق النار. وبدأت القذائف تتساقط على السوق وعلى الناس. لقد دُمر السوق بالكامل، ولم يبقَ منه شيء. اختبأنا هناك لمدّة ثلاثة أيام". - مريض لدى أطباء بلا حدود، وسط البحر الأبيض المتوسط، أغسطس/آب 2023.

وفي جنوب دارفور، شهدت أطباء بلا حدود بشكل مباشر تأثير العنف العشوائي على عامة السكان. ففي مايو/أيار 2023، قتلت غارة جوية للقوات المسلحة السودانية أحد أعضاء طاقم أطباء بلا حدود مع اثنَيْن من أفراد عائلته في نيالا، بينما نجا عضو آخر من عملية اعتداء وطعن على يد مقاتلي قوات الدعم السريع في شمال نيالا. وفي يونيو/حزيران 2023، وصف مريض لدى أطباء بلا حدود، قوبل في مخيم للاجئين في تشاد، فقدان أفراد من عائلته:

> كانت القنابل تتساقط في كلّ مكان، وكان الجنود يدخلون المنازل. رأيتُ الكثير من الناس الذين فقدوا حياتهم. وسقطت قنبلة بجوار منزلي أيضًا. [...] لقد فقدتُ خمسة أشخاص من عائلتي، امرأتان وثلاثة رجال. فقد سقطت قنبلة على منزلهم بينما كانوا نائمين. لقد ماتوا جميعاً". - لاجئ سوداني، تشاد، يونيو/حزيران 2023.

> "وصلنا إلى نيالا في بداية يناير/كانون الثاني 2024. لوّح لنا الناس في الشارع ورفعوا إبهامهم. لقد أرادوا مشاركة قصصهم وإخبارنا بما حدث لهم ولعائلاتهم والحديث عن الخسائر، والأشخاص الذين فقدوا حياتهم في الغارات الجوية، والأطفال الذين بترت أطرافهم وما زالوا يخضعون لعمليات جراحية". منسقة الطوارئ في أطباء بلا حدود، جنوب دارفور.

في أكتوبر/تشرين الأول 2023، شهد أحد أفراد طاقم منظمة أطباء بلا حدود وفاة أربعة أشخاص بسبب القصف على سوق الجنينة في نيالا، وإصابة 11 آخرين بجروح خطيرة[12] وفي 14 ديسمبر/كانون الأوّل 2023، أدت الغارات الجوية على الأحياء الجنوبية في نيالا إلى مقتل الكثير من المدنيين، وبحسب ما ورد تمّ نقلهم إلى مستشفى نيالا التعليمي الذي أعيد افتتاحه مؤخرًا[13].

وفي الفترة ما بين الأول من يناير/كانون الثاني و 30 أبريل/نيسان، دعمت منظمة أطباء بلا حدود 105 مرضى يعانون من إصابات بالغة ناجمة عن النزاع، بما في ذلك إصابات ناجمة عن طلقات نارية وانفجارات وعمليات الطعن[14]. ولدى عودة منسقة الطوارئ في أطباء بلا حدود إلى نيالا، روت قصصًا مروعة عن السكان المدنيين واصفةً فيها القتال الدائر في المدينة.

12 تقرير منظمة أطباء بلا حدود حول الإنذارات الحمراء
13 تقرير منظمة أطباء بلا حدود حول الإنذارات الحمراء في جنوب دارفور
14علاج 56 مريضًا في مستشفى نيالا التعليمي، و49 مريضًا في مستشفى كاس التعليمي (بيانات من يناير/كانون الثاني إلى مارس/آذار 2024)

المرافق الصحية المتضررة وغير الآمنة

كان التدمير والنهب ووجود الأسلحة في المرافق الطبية سمة ثابتة للنزاع، ممّا جعل المستشفيات ومراكز الرعاية الصحية بيئات غير آمنة، كما قيّدت إمكانية حصول المرضى في مناطق النزاع على الرعاية. والواقع أنّ ما يقدر بنحو 70-80 في المئة من المستشفيات في المناطق المتضررة من النزاع توقفت عن العمل، وأكثر من 65 في المئة من السكان يفتقرون إلى إمكانية الوصول إلى الرعاية الصحية[15] . وتعكس روايات المستشفيات التي تدعمها أطباء بلا حدود في مناطق النزاع هذا الواقع. وقد أبلغت فرقنا عمّا لا يقل عن 60 حادثة عنف وهجمات شنتها القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع على طاقم أطباء بلا حدود وممتلكاتها وبنيتها التحتية - بدءًا من الاشتباكات ونهب الإمدادات الطبية في المستشفيات والمستودعات، وصولًا إلى الحوادث المتعلقة بإطلاق النار من الأسلحة في المرافق التي ندعمها. ويؤثر كل ذلك على قدرة الأشخاص على الوصول إلى المرافق الصحية والبقاء آمنين أثناء تلقي الرعاية والمساعدة المنقذة للحياة.

وفي أم درمان، أوقف المستشفى السعودي للولادة الذي تدعمه أطباء بلا حدود خدماته في يوليو/تموز 2023، ثمّ انتقل إلى مجمّع مستشفى النوّ بعد إطلاق النار على أحد مقدمي الرعاية الصحية ومقتله داخل مبنى المستشفى، على الأرجح برصاص قناص. تعرض مستشفى النوّ الذي تدعمه منظمة أطباء بلا حدود للقصف ثلاث مرات، في أغسطس/آب وأكتوبر/تشرين الأول 2023، وفي يونيو/حزيران 2024. وخلال حادثة أكتوبر، أصابت قذيفة قسم الطوارئ، ممّا أدى إلى مقتل اثنَيْن من مرافقي المرضى، وإصابة خمسة أشخاص بجروح خطيرة، وإصابة عدة آخرين بجروح طفيفة. وفي سبتمبر/أيلول 2023، اعتقلت السلطات الأمنية في النوّ متطوعًا صحيًا داخل مبنى المستشفى للاشتباه في دعمه لقوات الدعم السريع. وفي وقت لاحق من الشهر، أصابت رصاصة طائشة لوحة الإعلانات الخاصة بقسم غسيل الكلى بمستشفى النوّ، وقام جندي من القوات المسلحة السودانية بضرب أحد مقدمي الرعاية الصحية لأنّه لم يقدّم له الرعاية على الفور. وفي تشرين الثاني/نوفمبر 2023، تعرّضت المنطقة المحيطة بالمستشفى لقصف مكثف، حيث سقطت أكثر من ثماني قذائف في محيط المجمّع، ممّا أدى إلى تعطيل الخدمات وإمكانية الحصول على الرعاية بشكل خطير. وتعرّض طاقم الرعاية الصحية أيضًا لهجوم مباشر من قبل رجال مسلحين داخل مباني المستشفى، ممّا أدى في كثير من الأحيان إلى تعطيل الأنشطة ووقوع حوادث أمنية مرتبطة بوجود أسلحة في المرفق.

© MSF/Sudan

© MSF/Sudan

يروي مريض لدى أطباء بلا حدود، شهد بداية الاشتباكات في أبريل/نيسان 2023 في الخرطوم، عملية إغلاق المستشفيات أمام السكان وإعطاء الجماعات المسلحة الأولوية للرعاية الصحية لمقاتليها، ممّا أدى إلى غياب شبه كامل للخدمات طبية، مع إجلاء المنظمات غير الحكومية من العاصمة:

> "أُغلقت المستشفيات والمدارس والجامعات والمباني الإدارية الحكومية الأخرى. وسيطر الجنجويد على المستشفيات المتبقية لتقديم الرعاية الطبية لجنودهم المصابين فقط. وأُجلي الأطباء والمنظمات غير الحكومية مباشرة عبر بورتسودان. ونفدت الأدوية أيضًا في الصيدليات".
>
> **– مريض لدى منظمة أطباء بلا حدود، سفينة البحث والإنقاذ التابعة لمنظمة أطباء بلا حدود، أكتوبر/تشرين الأول 2023.**

15 بيان صحفي لمنظمة أطباء بلا حدود، 12 مايو/أيار 2024

© MSF/Sudan

© MSF/Sudan

70- 80%

من المستشفيات في مناطق النزاعات هي خارج نطاق الخدمة

وفي مدينة الخرطوم، تأثرت المرافق الصحية القليلة التي ظلت تعمل بشدة جرّاء العنف. وفي يوليو/تموز 2023، أفاد فريق أطباء بلا حدود في المستشفى التركي أنّ جنديًا من قوات الدعم السريع ضرب أحد مقدمي الرعاية في غرفة الطوارئ. وأدى الحادث إلى إطلاق النار بشكل عرضي من سلاحه داخل مجمّع المستشفى. وفي حادثة منفصلة في ذلك الشهر، ورد أنّ جنودًا مسلحين من قوات الدعم السريع دخلوا قسم الطوارئ للبحث عن جنود القوات المسلحة السودانية. وقام جندي من قوات الدعم السريع بجلد حارس بحزام سلاحه أثناء مغادرته. وفي اليوم التالي، أوقف فريق أطباء بلا حدود الذي كان ينقل الإمدادات الطبية، كما تعرّض للضرب بالقرب من المستشفى التركي، ممّا أدى إلى انخفاض الأنشطة والوجود الميداني.

> "قامت قوات الدعم السريع باختطاف الطاقم الطبي وإجباره على العمل في المستشفى. وقد اختُطف جميع الأطباء المتخصصين وأُجبروا على علاج الجنود".
>
> **– عامل في مجال الرعاية الصحية، نيالا، يناير/كانون الثاني 2024.**

وفي مختلف أنحاء دارفور، تعرّضت إمدادات منظمة أطباء بلا حدود للتدمير أو النهب من قبل الجماعات المسلحة، ممّا يحد من قدرتنا على توفير الرعاية والوصول إلى السكان الأشد حاجة. وفي أبريل/نيسان 2023، اقتحم جنود قوات الدعم السريع وأعضاء تابعين لها مجمّع أطباء بلا حدود ومستودعات نيالا في جنوب دارفور، واعتدوا بعنف على طاقم عملنا ونهبوا الإمدادات والمركبات الطبية والإنسانية الأساسية، ممّا أجبر أطباء بلا حدود على تعليق أنشطتها الطبية حتى يناير/كانون الثاني 2024. وفي أغسطس/آب 2023، أوقفت وحدات قوات الدعم السريع شحنة من الإمدادات الطبية التابعة لأطباء بلا حدود قادمة من تشاد عند نقطة تفتيش في كاي، وأفادت التقارير بتحويل المساعدات إلى مقرها الرئيسي. وأبلغ أحد العاملين في القطاع الصحي أيضًا عن تعرّض طاقم طبي للاختطاف، وإجباره على العمل في المرافق الصحية التي تسيطر عليها الأطراف المتحاربة لعلاج المقاتلين.

© Mohammad Ghannam/MSF/Chad, Sudan

في وسط دارفور، تعرّض مكتب أطباء بلا حدود ومستشفى زالنجي التعليمي للنهب في مايو/أيار 2023، حيث دُمّر مولّد كهربائي وسُرق الوقود الذي تبرعت به أطباء بلا حدود. وفي فبراير/شباط 2024، اقتحم أفراد مسلحون مجمّع أطباء بلا حدود في زالنجي ونهبوا مركبات المنظمة، ممّا أدى إلى تعطيل الأنشطة التي تدعم المرافق القليلة التي لا تزال تعمل في المنطقة. وفي غرب دارفور، تعرّض مستشفى الجنينة التعليمي الذي تدعمه أطباء بلا حدود للنهب على مدار يومَيْن في أبريل/نيسان 2023، ممّا أسفر عن إغلاق المستشفى بسبب الأضرار الهيكلية وغياب الإمدادات والمواد الطبية. وفي مساء يوم السبت 11 مايو/أيار، وقعت غارة جوية نفذتها القوات المسلحة السودانية على بعد 50 مترًا من مستشفى بابكر نهار للأطفال الذي تدعمه أطباء بلا حدود في الفاشر بشمال دارفور. وأدى ذلك إلى انهيار السقف فوق وحدة العناية المركزة ووفاة طفلَيْن كانا يتلقيان العلاج هناك، بالإضافة إلى وفاة أحد مقدمي الرعاية على الأقل[16].

لا مكان آمن للناس في أي من مناطق النزاع - لا في منازلهم ولا في المرافق الصحية أو المستشفيات القليلة المتبقية التي عالجت الآلاف من جرحى الحرب المصابين جراء القصف وتبادل إطلاق النار. والأضرار التي لحقت بالبنية التحتية والمرافق الطبية تعيق بشكل كبير حصول المرضى والجرحى على الرعاية المنقذة للحياة. ويؤدي العنف وانعدام الأمن داخل المستشفيات إلى الضغط على قدرة العاملين في مجاليّ الرعاية الصحية والإنسانية على تقديم الرعاية، مع تقليل الأنشطة أو تعليقها في كثير من الأحيان. ومع استمرار النزاع في جميع أنحاء البلاد، يجب حماية السكان – بما في ذلك العاملين في مجاليّ الرعاية الصحية والإنسانية – بشكل عاجل من القتال الواسع النطاق، وضمان حصولهم على الرعاية الصحية. هناك حاجة ماسة إلى تجنب النزاع في المناطق الحضرية المكتظة بالسكان لتجنب تعريض المزيد من الأرواح البريئة للخطر والمخاطرة بالبنية التحتية الحيوية، وإجبار المزيد من الناس على الفرار والمخاطرة بالتعرّض لمزيد من العنف في طريقهم للعثور على مكان آمن.

16 بيان صحفي لمنظمة أطباء بلا حدود، 12 مايو/أيار 2024 .

هروب قسري: عنف داخل المنازل وعلى طول طرق النزوح

في السودان، هناك أكثر من 10.5 مليون شخص نازح داخليًا، وأكثر من 2 مليون شخص قد لجأوا إلى الدول المجاورة بحثًا عن الأمان والحماية. وقد هرب معظم النازحين من الخرطوم التي هي مركز النزاع، تَلَتهم موجة نزوح كبيرة ثانية من ود مدني (في ولاية الجزيرة) في ديسمبر/كانون الأوّل 2023 بعد سيطرة قوات الدعم السريع على المدينة. وقد فرّ أكثر من 550 ألف شخص من دارفور إلى تشاد، في حين نزح أكثر من مليون شخص بحثًا عن الأمان في ولايات أخرى. واعتبارًا من أبريل/نيسان 2024، بات 13 في المئة من السكان في السودان نازحين[17].

وفي إطار المشاريع التي تنفّذها أطباء بلا حدود في مواقع النزوح في السودان، أو في مخيمات اللاجئين شرق تشاد، أو على طول طرق الهجرة الدولية، يصف المرضى الهجمات الخطيرة والانتهاكات التي تعرّضوا لها داخل منازلهم وخلال رحلات النزوح.

وترسم القصص التي رواها المرضى لفرق أطباء بلا حدود صورةً قاتمة تظهّر الانتهاكات ضد المدنيين، ومناخ الشك العام وانعدام الثقة في أوساط جميع الهاربين من مناطق النزاع.

17 المنظمة الدولية للهجرة، مصفوفة تتبّع النزوح، مايو/أيار 2024.

6.4 مليون

سوداني نازحون داخليًا[17]

© Nasir Ghafoor/MSF/South Sudan

Johnny Vianney Bissakonou/MSF

عمليات نهب، وحرائق متعمدة وعنف ضدّ الناس داخل منازلهم

تحدّث مرضى أطباء بلا حدود عن حالات استهداف مقاتلين للمدنيين في منازلهم، مما أجبر الآلاف على الفرار خوفًا من الهجمات، ورووا حوادث مثل اقتحام الجماعات المسلحة للمنازل، وإشعال الحرائق، ونهب الممتلكات والماشية، وتهجير الأسر قسرًا. ويتجسّد مستوى العنف هذا في رواية رجل تعرّض للطعن في منزله في جنوب دارفور وتُرِك ليموت:

> كان الرجال مسلحين (يحملون بندقيتين ضخمتين وثلاث بنادق كلاشنكوف من طراز AK-47 والعصي في أيديهم) ويرتدون زيًا عسكريًا مموّهًا لقوات الدعم السريع. عرفت من ملامحهم أنهم من قبيلة الترجم العربية، واعتقدت أنهم من قوات الدعم السريع. وعندما استدرت للعودة إلى منزلي، طعنني أحد المسلحين في ظهري وضربني آخر بقوّة على رأسي من الخلف. طعنوني عدة مرات فسقطت أرضًا. سمعتهم يتحدّثون عنّي بينما كنت ملقًى على الأرض مضرّجًا بالدماء. لم يكن باستطاعتي النهوض. راح جيراني يصدرون أصواتًا لإبعاد المسلّحين، وخرجت زوجتي من المنزل باكية وهي تصرخ على الجنود وتسألهم لماذا فعلوا ذلك بي. بقيت تصرخ وتبكي من دون انقطاع. اقتحم بعدها المسلّحون منزلي وأخذوا بعض الملابس والأغراض الشخصية. وبعدما رأوا أنّ سيارتي داخل المجمّع مدمّرة وبدون إطارات ولاحظوا أنّه سيكون من الصعب قيادتها، تخلّوا عن فكرة أخذها. عندما خرجوا من منزلي، نظروا إليّ وأنا ملقى على الأرض، وكنت بالكاد واعيًا، وسمعتهم يقولون: "سيموت حتمًا، لا تضيعوا رصاصاتكم عليه"، بينما داس أحدهم عليّ".
>
> **– أحد مرضى أطباء بلا حدود، نيالا، مارس/آذار 2024.**

ويستذكر أحد المرضى في موقع تجمّع للنازحين في مدينة القضارف وصول قوات الدعم السريع إلى ود مدني في ديسمبر/كانون الأول 2023, ويروي كيف اعتدى الجنود على السكان قبل إجبارهم على إخلاء منازلهم:

"وصلت قوات الدعم السريع إلى مَدَني، وراحوا يتنقّلون من منزل إلى منزل على متن دراجات نارية ويستجوبون الناس بحثًا عن الأشخاص الذين ينتمون إلى الجيش أو الشرطة. وفي حيّنا، كانوا يضربون من يشتبهون بهم، أو يطلقون النار عليهم مباشرة. لقد جاؤوا إلينا في ديسمبر/كانون الأوّل، وطلبوا منّا مغادرة المنزل والمدينة."

– أحد مرضى أطباء بلا حدود في القضارف، مارس/آذار 2024.

أفاد أحد المرضى الذين أُجريت مقابلات معهم على متن سفينة البحث والإنقاذ التابعة لأطباء بلا حدود في وسط البحر الأبيض المتوسط أنّه أُجبر على الفرار من الخرطوم بسبب الهجمات واسعة النطاق وأعمال النهب. وقد شرح هذا اللاجئ الذي سبق ونزح من دارفور، التأثير العميق للنزوح المتكرّر على حياته وصحته النفسيّة:

"قرّرت مغادرة الخرطوم إلى الفاشر بعد شهر ونصف من بدء الحرب تاركًا ورائي حلمي في دراسة الأدب الإنكليزي. ورأيت الجنجويد [ميليشيات تابعة لقوات الدعم السريع] يهاجمون المنازل ويسرقون كلّ ما في داخلها، وعشت من جديد التجربة الصادمة التي كنت سبق وعشتها بسببهم من قبل في دارفور."

– لاجئ سوداني، سفينة البحث والإنقاذ التابعة لأطباء بلا حدود، أكتوبر/تشرين الأوّل 2023.

© Juan Carlos Tomasi/MSF

يصف مرضى أطباء بلا حدود في مخيمات اللاجئين في التشاد الغارات على المنازل وعمليّات إشعال الحرائق المتعمّد، بالإضافة إلى حالات العنف الشديد خلال الهجمات التي شُنّت في غرب دارفور:

"[في أوائل مايو/أيار] عدت من أندريسا إلى السودان بحثًا عن المال والطعام لزوجتي وأطفالي. وعندما وصلت إلى منزلي في فوربرنقا [غرب دارفور]، وجدته منهوبًا. وتعرّضت بعدها للاختطاف على يد عناصر الميليشيات الذين قاموا بتقييدي وجلدي."

– لاجئ سوداني، أندريسا، تشاد، مايو/أيار 2023.

"رأيت بعينَيّ جنودًا متوجّهين بسياراتهم نحو منزلنا. كان أخي الأكبر نائماً، فأطلقوا النار عليه، وسرقوا جميع ممتلكاتنا وماشيتنا. لقد أشعلوا النار في المنزل، وحاصروا أخي في الداخل. "

أحد العائدين في داغسا، تشاد، أغسطس/آب 2023.

"أضرمت النيران في منزلي أثناء الأعمال القتاليّة، فانتقلت للعيش مع أخي في فوربرنقا. ولكن الأسبوع الماضي، أضرموا النار في منزل أخي أيضًا، فاضطررنا إلى المغادرة."

– لاجئ سوداني، أندريسا، تشاد، يونيو/حزيران 2023.

مضايقات وانتهاكات عند نقاط التفتيش

يتحدّث المدنيون الهاربون من مناطق النزاع عن المضايقات والانتهاكات واسعة النطاق التي كانوا يتعرّضون لها عند نقاط التفتيش. وغالبًا ما يتحدّث المرضى أيضًا عن تعرّضهم لسرقة مقتنياتهم، لا سيّما أموالهم وهواتفهم. وقد وصف لاجئون من دارفور كيف سرق "الجنود العرب" مقتنياتهم واعتدوا عليهم وهم في طريقهم إلى تشاد.

"استقلّينا شاحنة من نيالا إلى الحدود حيث أوقفنا الجنود. فتّش الجنود العرب هاتف [صبي صغير]، ثمّ راحوا يهدّدونه ويضربونه قبل أن يسمحوا له في النهاية بالمغادرة. سلبونا كلّ ما كنّا نملك قبل أن يطلقوا سراحنا جميعًا".

– لاجئ سوداني، داغسا، تشاد، أغسطس/آب 2023.

تصف امرأة قابلناها في أحد مواقع تجمّع النازحين، كيف استهدف الجنود الرجال الفارين من الأراضي التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع نحو القضارف، للاشتباه في انتمائهم إلى "الجيش":

"أنزلوا زوجي من الحافلة مع رجال آخرين، وطلبوا منهم الكشف عن أكتافهم وأكواعهم، إذ عادةً ما يظهر على جسم الجنود علامات حزام حمل الكلاشينكوف، أو علامات على أكواعهم جرّاء الاحتكاك بالأرض أثناء القتال والتدريب. إذا رأوا هكذا علامات لدى الشخص واعتقدوا أنّه تابع للجيش، يأخذونه بعيدًا أو يطلقون النار عليه مباشرة على ساقيه لمعاقبته".

– نازحة داخليًا في القضارف، مارس/آذار 2024.

© MSF/West Darfur/Sudan

وأفاد الكثير من المرضى في شهاداتهم بأنّ الجنود كانوا يوقفون الرجال ويستجوبونهم ويفتّشونهم للاشتباه في كونهم مقاتلين أعداء، حتّى إنّ البعض تحدّث عن توقيفه بسبب لون بشرته، أو لمجرّد كونه من الأجانب واللاجئين.

"في طريقي إلى الفاشر، كانت ميليشيات قوات الدعم السريع قد أقامت نقاط تفتيش. كانوا يفتّشوننا، وإذا وجدوا هاتفًا أو نقودًا، يأخذونها، وإذا رأوا لون بشرتنا حمراء [بشرة فاتحة] كانوا يطلقون سراحنا. أمّا إذا رأوا أنّ لون البشرة مائل أكثر إلى الزرقة [بشرة داكنة]، فكانوا يقولون للشخص إنّه من الجيش، ويقتادونه إلى السجن."

– أحد المرضى من دارفور الذين قابلتهم أطباء بلا حدود على متن سفينة البحث والإنقاذ التابعة لأطباء بلا حدود، البحر الأبيض المتوسط، أكتوبر/تشرين الأوّل 2023.

"في طريقنا من الخرطوم، أخذوا أموالنا وأحذيتنا. لم نتمكّن من التعرّف إليهم، لا نعرف سواء كانوا من الجنود أو الميليشيات. أوقفونا، وسألونا إذا كنّا إثيوبيين أم أحباش، وفرّقوا بيننا [لاستجوابنا]."

– لاجئ إثيوبي نازح، مخيّم تندبا للاجئين، ديسمبر/كانون الأوّل 2023.

© Mohamed Zakaria/Sudan

هـذا وقـد تعـرّض أعضـاء مـن فريـق عمـل أطبـاء بلا حـدود للمضايقـات عنـد نقـاط التفتيـش. ففـي أبريل/نيسـان 2023، فـي نيـالا، أوقـف أحـد جنـود قـوات الدعـم السـريع موظّفًـا مـن موظّفـي المستشـفى، وهـدّده، وسـرق هاتفـه وأمواله. وفـي الخرطـوم، أوقفـت القـوات المسـلحة السـودانية أحـد موظفـي أطبـاء بلا حـدود عنـد نقطـة تفتيـش وهـدّدت بإعدامـه. وفـي حادثـة منفصلـة فـي مايو/أيـار 2023، تعـرّض أحـد الموظفيـن للاعتـداء والضـرب عنـد نقطـة تفتيـش فـي الخرطـوم قبـل أن تـرى قـوّات الدعـم السـريع أنّـه يحمـل وثائـق تثبـت عملـه فـي منظمـة غيـر حكوميـة. وفـي أم درمـان، أُحضِـر أحـد مقدمـي الرعايـة الصحيـة فاقـدًا للوعـي إلـى غرفـة الطـوارئ فـي مستشـفى النّـو علـى إثـر تعرّضـه للضـرب مـن قبـل مقاتلـي قـوات الدعـم السـريع الذيـن تركـوه بعدهـا ملقـى فـي الشـارع (أكتوبر/تشـرين الأول 2023). وفـي يونيو/حزيـران 2023، اعتقلـت القـوات المسـلحة السـودانية فـي منطقـة بورتسـودان عـاملاً فـي المجـال الإنسـاني واسـتجوبته بعـد أن أدركـت أنّـه يحمـل بطاقـة هويـة مـن دارفور.وفـي بعـض الأحيـان، يحتجـز الأفـراد الذيـن يخضعـون للتفتيـش والاسـتجواب عنـد نقـاط التفتيـش، فيتعـرّض هـؤلاء بعدهـا لمزيد من سوء المعاملة.

عمليّات اختطاف واحتجاز وأعمال عنف قد ترقى إلى مستوى التعذيب[18]

تحـدّث موظفـو أطبـاء بلا حـدود والمرضـى عـن قيـام القـوات المسـلحة السـودانية وقـوات الدعـم السـريع علـى حـدّ سـواء بعمليّـات اختطـاف واعتقـال دون مبـرر، وذلـك لمجـرّد الشـك فـي انتمـاء الضحايـا إلـى جماعـات معاديـة، وبدافـع الابتـزاز، وفـي محاولـة لتجنيـد الأفـراد قسـراً فـي الجماعـات المسـلّحة، وغيـر ذلك من أشكال الاستغلال.

> "خطفت قوات الدعم السريع الشباب ونقلتهم إلى مستشفى خاصّ بها وسحبت الدم منهم عنوةً. حتى لو كانت فصيلة دمك غير متطابقة، هم يقومون بسحب الدم في كلّ الأحوال... لقد غادر جميع الأطباء المتخصصين [نيالا] بسبب تعرّضهم للاختطاف. هم يختطفونهم ويجبرونهم على معالجة الجنود".
>
> **– أحد أفراد الطاقم الطبي في منظمة أطباء بلا حدود، نيالا، أكتوبر/تشرين الأول 2023.**

هـذا وشـاركت مجموعـة مـن اللاجئيـن النازحيـن قصصًـا مروّعـة عـن انتهـاكات القـوات المسـلحة السـودانية وسـوء المعاملـة التـي كانـوا يمارسـونها ضـدّ الأشـخاص أثنـاء فرارهـم مـن مَدَنـي. وقـد تحـدّث الكثيـر مـن الرجـال الذيـن أُجرِيَـت مقـابلات معهـم فـي أحـد مخيمـات اللاجئيـن عـن اعتقالهـم ونقلهـم إلـى معسـكر للجيـش بعـد تعرّضهـم لأشـكال عنـف شـديد قـد ترقـى إلـى مسـتوى التعذيـب. هـم وصفـوا كيـف فُصلـوا عـن النسـاء، وجـرى تجريدهـم مـن ملابسـهم، واسـتجوابهم، وإخضاعهـم للإسـاءات، بمـا في ذلك الجرح بالسـكاكين والحرق بالماء المغلي.

18 تُعـرّف اتفاقيـة الأمـم المتحـدة لمناهضـة التعذيـب وغيـره مـن ضـروب المعاملـة أو العقوبـة القاسـية أو اللاإنسـانية أو المهينـة التعذيـب بأنـه أيّ عمـل ينتـج عنـه ألـم أو عـذاب شـديد، جسـديًا كان أم عقليًـا، يلحـق عمـدًا بشـخص مـا بقصـد الحصـول مـن هـذا الشـخص، أو مـن شـخص ثالـث، علـى معلومـات أو علـى اعتـراف، أو معاقبتـه علـى عمـل ارتكبـه أو يشـتبه فـي أنـه ارتكبـه، هـو أو شـخص ثالـث أو تخويفـه أو إرغامـه هـو أو أي شـخص ثالـث - أو عندمـا يلحـق مثـل هـذا الألـم أو العـذاب لأي سـبب يقـوم علـى التمييـز أيًّـا كان نوعـه، أو يحـرض عليه أو يوافق عليه أو يسـكت عنه موظف رسـمي أو أي شـخص يتصرف بصفته الرسمية.

وقد كشف أحد الناجين لأحد موظفي أطباء بلا حدود عن ندب ناجم عن جرح بسكين تعرّض له خلال حادثة مماثلة:

"عندما اندلعت الحرب، هربنا على الفور باتجاه سنار. [...] أوقفنا جنود من جانب الحكومة وطلبوا من جميع الرجال أن يترجّلوا من السيارة. كنّا مجموعة من 14 شخصًا. أمرونا بخلع ملابسنا والركوع على الأرض. وضعوا سلاحهم تحت ذقني وسألوني من أين أتيت. قلت لهم إنني حبشي وفي طريقي إلى مخيّم اللاجئين، فأجابوا أنهم لا يحتاجون إلى المزيد من الأحباش هنا وأننا أعداؤهم. [سكبوا] بعدها الماء المغلي على أجسادنا وضربونا بالعصيّ [على ظهورنا]. بقينا هناك لمدة ساعة قبل أن يأخذونا إلى معسكر للجيش ويطلقوا سراحنا. [...] لا أزال أشعر بألم شديد في ظهري وأنا بحاجة إلى العلاج".

– أحد مرضى أطباء بلا حدود، كسلا، ديسمبر/كانون الأول 2023.

أفادت إحدى مريضات أطباء بلا حدود في القضارف، والتي كانت قد تركت مَدَني في نهاية مارس/آذار 2024،
أنّ قوّات الدعم السريع اعتقلت شقيقها البالغ من العمر 21 عامًا واحتجزته لمدة أسبوع للاشتباه في انتمائه إلى القوات المسلحة السودانية. وقالت إنّه استُجوِب وتعرّض للتعنيف:

"أخذت [قوات الدعم السريع] [أخي]، دفعوه داخل سيارة، وغطّوا وجهه بعصابة سوداء، ونقلوه إلى مبنى أو منزل، لا نعرف أين تحديدًا. أخبرني أنهم أبقوه رهن الاحتجاز لمدة أسبوع، وطرحوا عليه أسئلة، ودفعوه للإدلاء بمعلومات عن انتمائه للجيش السوداني، وقد كسروا معصمه ووضعوا وجهه داخل المرحاض لإجباره على التكلّم".

– امرأة نازحة إلى القضارف، مارس/آذار 2024.

العنف الجنسي والقائم على النوع الاجتماعي

في السودان، لا تزال حالات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي التي تُبلّغ فرق أطباء بلا حدود بها وتعالجها في مرافقنا محدودة، وعلى الأرجح أنّه لا يُبلّغ عن هذه الحالات بشكل كافٍ.

فبسبب الوصمة والمخاوف الأمنية المتعلقة بحالات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، غالبًا ما لا يتمكن الناجون والناجيات من التماس الرعاية بشكل آمن. ويواجه الناجون والناجيات من العنف الجنسي المرتبط بالنزاع ومقدّمو الرعاية الصحية مخاطر الانتقام، من الجماعات المسلّحة ومن الجناة، وهم يخشون التحدث علنًا بسبب الخوف أو الوصمة. وقد أدّى تقلّص خدمات الحماية والمساحات الآمنة إلى التقليل من الفرص المتاحة أمام الناجين والناجيات لكسر حاجز الصمت بشكل كبير. ولا تزال المساحات التي تضمن عدم الكشف عن الهويّة، والملاجئ الآمنة، وإدارة الحالات بشكل متخصّص، ومتابعة حالة الصحة النفسية، محدودة أو مفكّكة أو غير موجودة أصلًا في المناطق التي تعمل فيها أطباء بلا حدود. هذا وتشير البيانات الواردة من المرافق التي تديرها المنظّمة والتي تقدّم الدعم للّاجئين السودانيين في تشاد إلى انتشار العنف الجنسي على نطاق واسع باعتباره سمة من سمات النزاع، لا سيّما ضدّ النساء والفتيات.

وفي المستشفى التابع لأطبّاء بلا حدود الواقع على الحدود التشادية، تلقّى الموظّفون بين يوليو/تموز وديسمبر/كانون الأول 2023 بلاغات عن 135 حالة من العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي، حصلت معظمها في السودان خلال النزاع. وقد تحدّث المرضى عن تعرّضهم للاغتصاب، بما في ذلك الاغتصاب الجماعي، والاختطاف، والاستغلال. وكانت جميع الناجيات من النساء والفتيات اللواتي تتراوح أعمارهنّ بين 14 و40 عامًا.

ومن بين المريضات الـ135 اللواتي عالجتهنّ أطباء بلا حدود[19]:

- **90%** في المئة تعرّضن للاعتداء على أيدي مسلّحين.
- **40%** في المئة تعرّضن للاغتصاب من قبل أكثر من معتدٍ، حيث قام الجناة بتوجيه التهديدات للضحايا، أو الإمساك بهنّ، أو الوقوف للحراسة أثناء الاغتصاب.
- **50%** في المئة تعرّضن للاعتداء الجنسي في منازلهنّ، في حين تعرّض النصف الآخر للاعتداء أثناء ممارسة أنشطتهنّ اليوميّة أو أثناء فرارهنّ من النزاع.
- **13** ناجية من الناجيات وصفن تعرضهنّ للاختطاف، وبعضهنّ للاستغلال المنزلي. وقد تراوحت عمليات الاختطاف بين ليلة واحدة وعدّة أشهر، حيث تحدّثت بعض الناجيات عن تقييدهنّ وتعرّضهنّ للاغتصاب أثناء الليل.
- **33** ناجية من بين الناجيات تحدّثن عن تعرّضهنّ لأعمال عنف إضافية أثناء اغتصابهنّ، إما موجّهة ضدّهنّ أو ضدّ أحد أفراد أسرهنّ. وغالبًا ما تعرّض الآباء الذين حاولوا حماية بناتهم للإصابة، وهُدِّدت الأمهات بالقتل، وتعرّض الضحايا للضرب.

19 تستند البيانات إلى التقرير العام لمنظمة أطباء بلا حدود – سويسرا حول حالات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي التي تمّ إحصاؤها في مخيمات اللاجئين في شرق تشاد. وهذه الإحصاءات ليست حصريّة بشكل متبادل، حيث يمكن أن تندرج الناجيات ضمن أكثر من فئة من فئات البيانات المتعدّدة المدرجة.

© Mohamed Zakaria/Sudan

وتتوافق الشهادات المحدودة التي جمعتها فرق أطبّاء بلا حدود في السودان من النازحين واللاجئين بشكل كبير مع النتائج التي لمستها فرق المنظّمة في شرق تشاد. وتوثّق روايات المرضى أيضًا العديد من حالات اختطاف النساء والفتيات:

"عندما حاولنا مغادرة [الخرطوم]، اعترضت قوات الدعم السريع طريقنا، وطلبوا منّي أن آتي معهم لخدمة جنودهم في مستشفى شرق النيل، وهدّدوا بإطلاق النار على رأسي إذا رفضت [...] توسّلت إليهم أمي ألا يأخذوني، فتركونا نذهب. وعندما كنّا في أم دوانبان، جاءوا إلى القرية وأخذوا 17 فتاة من قبيلة البحاتين، بالإضافة إلى الطبيبتين اللتين كنت أعمل معهما. أخذوهنّ بالقوة، ولا أعرف ماذا فعلوا بهنّ. لديّ صديقة بقيت في الخرطوم، وقد علمت أنهم قتلوها بثلاث رصاصات".

– إحدى مريضات أطباء بلا حدود في كسلا، ديسمبر/كانون الأول 2023.

وتحدّث نازحون آخرون في ولايتي كسلا والقضارف عن عمليات اختطاف واختفاء لفتيات صغيرات عقب سيطرة قوات الدعم السريع على المنطقة. وقد أفادت نازحة من ود مدني بأنها فقدت الاتصال بقريبتها البالغة من العمر 16 عاماً بعد اختطافها:

"بقينا هناك [في مدني] حتّى كانون الأوّل/ديسمبر، إلى أن بدأوا ذات يوم في الخامسة صباحًا، بشنّ غارات جوية مكثّفة، وبإطلاق النار، وبعمليات القتل. أخذوا ابنة قريبتي من المنزل وهي كانت في السادسة عشرة من عمرها، وما زلنا حتّى الآن لا نعرف مكانها، ولا إذا كانت بأمان أم لا".

– إحدى مريضات أطباء بلا حدود في كسلا، مارس/آذار 2024.

"اختفت فتاتان صغيرتان من حيّ صريبة الذي كنّا نقطن فيه [في مدني]. وعندما اختُطف أخي في وقت لاحق، وبعدما عاد إلى المنزل، أخبرنا بأنّ الفتاتين كانتا في نفس المنزل الذي تم احتجازه فيه وأنّهما كانتا هناك منذ شهرين. وقال إنه كان يسمع أصواتًا تشي بأنّهم كانوا يفعلون أمورًا سيّئة بهما، كتلك الأشياء السيئة التي يفعلونها بالفتيات".

– أحد مرضى أطباء بلا حدود في القضارف، مارس/آذار 2024.

ويروي أحد اللاجئين في دارفور عن حالات العنف الجنسي التي كانت تحصل في فوربرنقا، غرب دارفور، وهي منطقة قريبة من الحدود التشادية كان لجأ إليها الناس بحثًا عن الأمان من العنف الذي كانوا يتعرّضون له في الأراضي التي تسيطر عليها قوات الدعم السريع والجماعات التابعة لها:

"سمعنا في فوربرنقا أنّهم كانوا يأتون من الخلف، ويأخذون الفتيات إلى منزل لاغتصابهنّ. وقد سمعنا قبل أربعة أيام عن فتاتين كانتا تحاولان العبور من فوربرنقا [إلى تشاد] وحاول بعض الرجال اغتصابهما".

– لاجئون من فوربرنقا، غرب دارفور، خلال مناقشة جماعية مركزة في مقرورو، تشاد، يونيو/حزيران 2023.

تقدّم البيانات والشهادات الطبية لمحات سريعة من الواقع القاسي لحالات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في السودان والتي لا يتم الإبلاغ عنها على نطاق واسع. وهي توضح جليًا استخدام العنف الجنسي باستمرار ضد النساء في المنازل وعلى طول طرق النزوح، باعتباره سمة من سمات هذا النزاع.

العنف القائم على دوافع إثنيّة

في دارفور، اتخذ العنف ضد السكان المدنيين بعداً إثنيًا. وفي غرب دارفور، يُعتقد أنّ أعمال العنف التي ارتكبتها الجماعات التابعة لقوات الدعم السريع ضد بعد المجموعات الإثنيّة أودت بحياة ما بين عشرة آلاف و15 ألف شخص في الجنينة في يونيو/حزيران 2023[20]. وفي نوفمبر/تشرين الثاني، أفيد عن مقتل مئات آخرين في أرداماتا[21]. وتشير البيانات الطبية الواردة من المستشفى الذي تدعمه منظمة أطباء بلا حدود في أدري (في تشاد) والذي يبعد 30 كيلومترًا فقط عن الجنينة، إلى المجازر التي وقعت في يونيو/حزيران 2023.

وتظهر الدراسات الاستقصائية التي أجرتها أطباء بلا حدود حول الوفيات السابقة[22] في أوساط اللاجئين السودانيين في تشاد زيادة في الوفيات بين اللاجئين السودانيين في ثلاثة مخيمات للاجئين. وقد شهد مخيّم أورانغ على وجه التحديد زيادة بمقدار 20 ضعفًا في معدلات الوفيات منذ أبريل/نيسان 2023 مقارنة بمرحلة ما قبل الأزمة، حيث تمّ تسجيل 2,25 حالة وفاة لكل عشرة آلاف شخص يوميًا، وبلغت الوفيات ذروتها في يونيو/حزيران. وكان 83 في المئة من القتلى رجالًا (عددهم 148)، وكان العنف، لا سيّما باستخدام الأسلحة النارية، هو سبب الوفاة في 82 في المئة من الحالات (عددهم 147). وقد سُجِلّت معظم الوفيات في الجنينة، بينما وقع ربعها أثناء فرار الناس إلى تشاد. وخلال هذه الفترة، أُبلغ عن فقدان واحد تقريبًا من كلّ 20 رجلاً تتراوح أعمارهم بين 15 و44 عامًا[22]. وفي مستشفى أدري، عالجت فرق أطباء بلا حدود أكثر من 850 جريحًا من جرحى الحرب الهاربين من العنف الإثني في الجنينة بين 15 و17 يونيو/حزيران 2023. وكان من بين الجرحى 62 امرأة حامل أُدخِلن إلى المستشفى بسبب إصابتهن بطلقات نارية أو إصابات نتيجة الضرب[23].

وأكّدت فرق أطباء بلا حدود في أدري أنّ الغالبية العظمى من جرحى الحرب الذين عولجوا في هذا المرفق ينتمون إلى مجموعة المساليت العرقية التي تقطن في تشاد والسودان.

"أفاد العديد من الجرحى أنّ رجال الميليشيات العرب كانوا يستهدفونهم بسبب انتمائهم إلى مجموعة المساليت ويطلقون النار عليهم في الجنينة. وأخبرونا أنّ هذا العنف كان قائمًا حتّى داخل البلدات وعلى نقاط التفتيش على طول الطريق إلى تشاد، حيث كان الرجال من مجتمع المساليت يتعرّضون لاستهداف ممنهج".

– مسؤول برامج الطوارئ في أطباء بلا حدود في تشاد، يونيو/حزيران 2023 [24].

وقد أفاد المرضى في القصص التي شاركوها عن تعرّضهم للاستهداف القائم على أسس إثنيّة، وسردوا روايات مروّعة عن جثث متناثرة في الشوارع أثناء فرار الناس:

"قالوا لنا [نحن المساليت] إنّ هذا ليس بلدنا ووضعونا أمام خيارين: إمّا المغادرة على الفور إلى تشاد أو القتل. أخذوا بعض الرجال ورأيتهم يطلقون النار عليهم في الشوارع، ولم يكن هناك من يدفن الجثث".

– أحد اللاجئين السودانيين الذي أجريت مقابلة معه في يونيو/حزيران 2023 في أدري، تشاد.

"في 25 يونيو/حزيران، قصدت التلال الواقعة شمال الجنينة في محاولة لالتقاط إشارة على هاتفي المحمول. وعندما نظرت إلى الوادي، رأيت 20 جثة على الأقلّ فرجوت الله أن ينقذني ويسمح لي بلقاء عائلتي. (...) لم يتمكّن الكثير من الأشخاص من الوصول إلى تشاد وقُتلوا لمجرد كونهم من المساليت".

– لاجئ سوداني، أدري، تشاد، يونيو/حزيران 2023.

20 فريق الخبراء المعني بالسودان التابع للأمم المتحدة، التقرير النهائي المقدّم إلى مجلس الأمن، ديسمبر/كانون الأول 2023.

21 مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان، " السودان: عمليات القتل في بلدة أرداماتا بالسودان"، إحاطة صحفية من المتحدث الرسمي باسم مفوضية الأمم المتحدة السامية لحقوق الإنسان: جيريمي لورانس، 17 نوفمبر/تشرين الثاني 2023. هيومن رايتس ووتش، "المساليت لن يعودوا إلى ديارهم"، 9 مايو/أيار 2024، متوفّر على الرابط التالي: https://www.hrw.org/report/2024/05/09/mas-salit-will-not-come-home/ethnic-cleansing-and-crimes-against-humanity-el

22 بيان صحفي لمنظمة أطباء بلا حدود، يناير/كانون الثاني 2024.

23 بيان صحفي لمنظمة أطباء بلا حدود، أغسطس/آب 2023.

24 بيان صحفي لمنظمة أطباء بلا حدود، يناير/كانون الثاني 2024.

وفي أماكن أخرى من دارفور، أُبلغ أيضًا عن حالات استهداف وتمييز قائمة على الإثنيّة. فقد نقل مرضى في نيالا بجنوب دارفور روايات عن ميليشيات تابعة لقوات الدعم السريع تنتقل من منزل إلى منزل، وتمارس أعمال النهب، وتضرب الناس وتقتلهم، وتستهدف مجموعات محدّدة على أساس عرقها، وذلك خلال صيف عام 2023.

"تستهدف [قوات الدعم السريع] الأشخاص غير العرب وتضايقهم، وتتّهمهم بأنهم على صلة بالقوات المسلحة السودانية [...] اعتقلوا جاري واحتجزوه لمدة يومين وضربوه لأنه لا يبدو عليه بأنّه ينتمي إلى نفس المجموعة الإثنيّة، وطالبوا بـ 300 ألف جنيه سوداني للإفراج عنه".

– أحد مرضى أطباء بلا حدود، نيالا، جنوب دارفور، أغسطس/آب 2023.

وأفاد لاجئ سوداني من دارفور قوبل على متن سفينة البحث والإنقاذ التابعة لمنظمة أطباء بلا حدود أنه غادر الفاشر هو أيضًا بسبب الخوف من الاضطهاد الإثني:

"أنا من دارفور، وقد عانيت من التمييز في الفاشر. كان يمكن أن ينتهي بي الأمر في السجن، لذا كان عليّ أن أغادر بسرعة، وكان جنوب السودان بعيدًا جدًا، علمًا أنّك إذا ذهبت إلى الجنوب ورأوا أنّ لون بشرتك حمراء [بشرة فاتحة]، فسوف يسمحون لك بالمرور، وإلّا فسيمنعونك من ذلك. معظم الميليشيات ومليشيات الدعم السريع هم من العرب ويمكن التعرّف إليهم من خلال لون بشرتهم. بعد أسبوعين من نهاية العيد، في مايو/أيار، انتقلت إلى تشاد، وعبرت الوادي مع العديد من العائلات السودانية [...]".

– أحد المرضى لدى أطباء بلا حدود، أكتوبر/تشرين الأول 2023، البحر الأبيض المتوسط

© Frederic Seguin/ MSF/ Mediterranean Sea

يبدو أنّ أعمال العنف المباشرة والانتهاكات التي ترتكبها القوات المسلحة ضد عامة الناس، سواء داخل منازلهم أو أثناء فرارهم من الأعمال العدائية، وهي من السمات الثابتة للنزاع. وقد أدّت الحالات الموثّقة من أعمال النهب، والحرق المتعمّد، والهجمات المباشرة داخل منازل الناس أو الخوف من هذه الأعمال إلى إجبار الملايين على النزوح. وعندما يترك النازحون وراءهم أفراد أسرهم، وشبكات الدعم، وسبل عيشهم، ومواردهم المالية، يصبحون أكثر عرضة للخطر، ويتعرّضون لمزيد من العنف وسوء المعاملة والاستغلال. وعلى طول طرق النزوح هذه، تعيق القيود المفروضة على وصول العاملين في المجال الإنساني والصحي، تقديمَ المساعدات الطبية وخدمات الحماية للأشخاص الأكثر حاجة أثناء تنقّلهم من مكان إلى آخر. ونظرًا لحجم النزوح في السودان، ينبغي تأمين طرق آمنة ومحميّة لإجلاء الأشخاص الفارين من العنف وضمان حريّة تنقّلهم، وكذلك الأمر بالنسبة للعاملين في المجال الإنساني الذين يستجيبون للاحتياجات.

© Mohamed Zakaria/Sudan

آثار العنف: التداعيات على صحّة المدنيين

أدّى انتشار العنف وانعدام الأمن على نطاق واسع إلى تعطيل قدرة الناس على الوصول إلى الرعاية الصحية والحماية في جميع أنحاء البلاد، مع ما يرتّبه ذلك من تداعيات مقلقة على صحتهم الجسدية والنفسيّة. وقد أدّى القصف المدفعي، والهجمات الجوية، وانقطاع التيار الكهربائي، ونقص الإمدادات الطبية والعاملين إلى إضعاف النظام الصحي بشكل كبير. وبسبب معدّلات الوفيات المرتفعة، والمضايقات، وأعمال الخطف، ومخاطر التجنيد القسري التي يتعرّض لها العاملون في مجال الرعاية الصحية، أُجبِر عدد كبير من هؤلاء على ترك منازلهم، ممّا خلّف نقصًا حادًّا بالموظّفين في المرافق الطبية.

هذا وقد أدّت الأزمة إلى الاستيلاء على مرافق الصحة العامة، مثل المختبر الوطني للصحة العامة، وانهيار الصندوق القومي للتأمين الصحي، وبنك الدم المركزي، والصندوق القومي للإمدادات الطبية، ممّا أثّر على مخزون الإمدادات الطبية واحتياطيات الدم[25] وقد أظهرت الأطراف المتحاربة عدم قدرتها على ضمان سلامة العاملين في المجال الإنساني والمرافق الإنسانية، ممّا عزّز من شعور الجهات المانحة ومقدّمي الخدمات بالتردّد وعدم رغبتهم بشكل عام في توسيع نطاق الأنشطة الطبية والإنسانية. وعليه، فإنّ المدنيين غير المشاركين في القتال يدفعون ثمن العنف المرتبط بالنزاع على صحّتهم الجسدية والنفسيّة ورفاههم النفسي.

25 كلّيّة الصحة العامة بجامعة هارفارد، "كيف يحافظ المسؤولون في مجال الصحة العامة على الأمل في الحرب الأهلية في السودان"، 15 أبريل/نيسان 2024.

المضاعفات الصحيّة وانقطاع علاجات الأمراض المزمنة

يؤدّي العنف، والنزوح، ونقص الدعم الكافي والغذاء والحماية إلى تفاقم المشكلات الصحية الموجودة مسبقًا لدى السكان في السودان. فقد تعطّلت سبل العيش خلال النزاع، ممّا أدى إلى زيادة الحواجز المالية التي تحول دون الحصول على الرعاية والأدوية المدفوعة. ويعرّض نقص الأدوية والإمدادات الطبية في البلاد ملايين السودانيين لخطر الإصابة بأمراض خطيرة أو الوفاة لأسباب يمكن الوقاية منها وعلاجها. كانت الأمراض غير المعدية، بما في ذلك ارتفاع ضغط الدم، والسكري، وأمراض الكلى، والسرطان، منتشرة بشكل كبير في السودان حتّى قبل هذا الصراع بكثير[26]. وقد أثّر العنف المستمرّ تأثيرًا كبيرًا على نظام الإمداد، ممّا أدى إلى نقص الأدوية اللازمة لعلاج الأمراض غير المعدية. وقد تفاقمت هذه الندرة بسبب إغلاق مرافق الرعاية الصحية الرئيسية، بما في ذلك مراكز علاج القلب والأورام التي كانت توفّر الرعاية لنسبة كبيرة من المرضى[27]. وخلال شهري فبراير/شباط ومارس/آذار 2024، قدّمت أطباء بلا حدود في غرفة الطوارئ الطبية بالنّو في الخرطوم 2,079 استشارة طبيّة للأمراض غير المعدية، أي ما يعادل 39 في المئة من إجمالي الاستشارات الطبية. وفي شهر مارس/آذار وحده، سُجِّلت 25 حالة وفاة بسبب الأمراض غير المعدية، وهو ما يمثّل 45 في المئة من الوفيات الطبيّة المصحوبة بتشخيص مسجّل و21 في المئة من إجمالي الوفيات (الطبية والجراحية مجتمعة). ومن المحتمل أيضًا أن تكون الوفيات الطبية دون تشخيص (وعددها 36) ناجمة عن مضاعفات جرّاء أمراض غير معدية، وهي تمثّل بالتالي أكثر بقليل من نصف (52 في المئة) إجمالي الوفيات المسجّلة في شهر مارس/آذار (عددها 118). وقد سُجّلت 312 حالة (10 في المئة من الحالات الطبية) من مضاعفات مرض السكري وحدها وتسع حالات وفاة (16 في المئة من حالات الوفاة الطبية المصحوبة بتشخيص معروف). ومن المحتمل أن يكون هناك ما يُعرَف بـ"الانحياز للبقاء"، ممّا يعني أنّه من المرجّح أن يكون الأشخاص المصابون بأمراض غير معدية تهدّد حياتهم قد فقدوا حياتهم بالفعل دون الحصول على العلاج، وبالتالي ما عادوا يستفيدون من الخدمات التي نقدّمها. على سبيل المثال، تسجّل أطباء بلا حدود أعدادًا كبيرة من الوفيات الناجمة عن الفشل الكلوي بسبب الغياب التام لخدمات غسيل الكلى[28]. ويعتقد أحد مراكز غسيل الكلى في دارفور أنّ جميع مرضاه البالغ عددهم 200 قد توفوا بسبب انقطاع الخدمات[29].

هذا وقد نفد المخزون الشخصي من أدوية الأمراض غير المعدية، مع ترك الناس لأدويتهم المزمنة خلفهم عند فرارهم من العنف. وقد نفدت الإمدادات في الصيدليات أو ارتفعت أسعارها، ممّا جعل العديد من الأدوية غير ميسورة التكلفة بالنسبة لأولئك الذين يحتاجون إليها. ونتيجة لذلك، بات المرضى المتعايشون مع أمراض مزمنة يعانون من مضاعفات خطيرة ويموتون في بعض الأحيان بسبب نقص الدواء.

> "سافرت مع والدتي العجوز، وهي مريضة سكّري تعاني من مشكلة مزمنة في ارتفاع ضغط الدم. لم نتمكّن من مساعدتها، ولم تكن تحمل أدويتها معها. حاولنا البحث عن طبيب في شندي وعن أشخاص في المجتمع المحلّي يمكنهم أن يقدّموا لنا الأدوية مجانًا، ولكنّ الأمر كان صعبًا للغاية ولم تكن دائمًا قادرة على الحصول على الكميّة الكافية من الأدوية لحالتها، وكانت بالتالي غالبًا ما تبقى بدون أدوية لفترة طويلة. [...] والدتي الآن في حالة تشبه الغيبوبة، ولا تتجاوب معنا".
>
> **– أحد المرضى لدى أطباء بلا حدود، كسلا، مارس/آذار 2024.**

2,079
استشارة

قدمت أطباء بلا حدود 2079 استشارة للأمراض الغير معدية في غرفة الطوارئ في مستشفى النو خلال شهري فبراير ومارس 2024. تضمنت 39% من جميع الاستشارات الطبية. في شهر مارس وحده، كان هناك 25 حالة وفاة بسبب الأمراض الغير معدية والتي تمثل 45% من الوفيات الطبية المسجلة بتشخيص.

26 https://www.ncbi.nlm.nih.gov/pmc/articles/PMC6730568/

27 بدري، ر.، وداود، إ. آثار حرب السودان على العاملين في مجال الرعاية الصحية ومرافقها: مأساة النظام الصحي. النزاعات والصحة، 18، مقال عدد 22 (2024). متاح على: https://doi.org/10.1186/s13031-024-00581-w

28 مقال أطباء بلا حدود "السودان: أكثر من 1000 جريح عولجوا في المستشفى الذي تدعمه منظمة أطباء بلا حدود خلال ثلاثة أشهر من القتال في الفاشر".

29 منظمة الصحة العالمية، تحليل وضع الصحة العامة: النزاع في السودان (8 أبريل/نيسان 2024).

ومع انتقال خطوط المواجهة من ولاية إلى أخرى، تؤدّي رحلات النزوح الطويلة إلى تدهور أوضاع الأشخاص الذين كانوا يعانون أصلًا من مشاكل صحيّة. وغالبًا ما يضطر الأشخاص الذين يحتاجون إلى رعاية طارئة إلى إهمال احتياجاتهم الصحية أو اعتماد ممارسات صحية مرتجلة قد تؤدي إلى حصول مضاعفات.

وتستذكر إحدى مريضات أطباء بلا حدود في مدينة القضارف، والتي نزحت أكثر من مرّة من الخرطوم ومدني، كيف اضطرّت إلى الفرار من المستشفى، تاركة وراءها جميع ممتلكاتها وأدويتها بعد ولادة طفلها:

"كان من المفترض أن ألد طفلي خلال أيام قليلة من اندلاع الحرب في الخرطوم. وبعد ثلاثة أيام فقط من بدء الحرب، كنت في مستشفى في بحري ألد طفلي، الذي توفي بعد ساعات قليلة فقط. كنت مدمّرة نفسيًّا، ومتعبة جسدياً بسبب مضاعفات العملية القيصرية. قرّرنا زوجي وأنا الفرار من بحري إلى المناقل بسبب تزايد المخاطر، وكنّا بحاجة للبحث عن مكان أكثر أماناً نبقى فيه. لم نكن نملك شيئًا، فقد تركنا كلّ شيء في المنزل لنهرب. لم أكن بحالة جيّدة، وكنت أتألّم بسبب جراحتي القيصرية. بدأت أنظّف جرحي بالجل الذي نستخدمه لتعقيم اليدين... لم يكن لديّ أي شيء آخر".

– مريضة لدى أطباء بلا حدود، القضارف، أبريل/نيسان 2024.

سعى العديد من الأشخاص الذين يعانون من إعاقات جسدية أو عقلية إلى البحث عن الأمان في الجزء الشرقي من البلاد، وواجهوا تحديات كثيرة وهم في طريقهم إلى ولايتي كسلا والقضارف. وقد صرّح أحد مرضى أطباء بلا حدود وهو كان قد أنشأ نظام دعم للأشخاص المعوّقين لإجلائهم من المناطق التي تشهد صراعًا نشطًا:

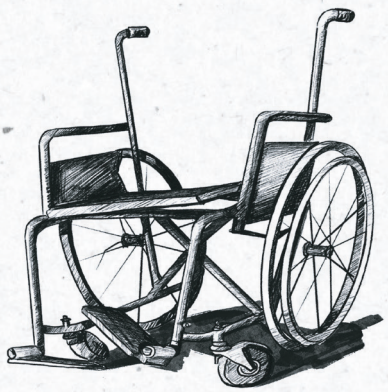

"أحد التحديات هو التنقل المتكرر من مدني أو الخرطوم، إذ إنّ الناس فقدوا الوسائل المعينة على التنقّل الخاصّة بهم، مثل العصي، أو الكراسي المتحرّكة، أو الأطراف الصناعية، حتّى أنّ بعضهم توقّف عن متابعة جلسات العلاج الفيزيائي، وكلّ ذلك أثّر على إعادة تأهيلهم وتعافيهم".

أحد مرضى أطباء بلا حدود، كسلا، مارس/آذار 2024.

تدهور الصحّة العقليّة والرفاه النفسي

للعنف والنزوح عواقب هائلة على الصحة النفسيّة. ولا تزال الآثار النفسيّة الناجمة عن العنف والنزوح لدى العديد من الأشخاص في السودان دون علاج، مع ما يترتّب على ذلك من آثار محتملة طويلة المدى على قدرتهم على التغلّب على المصاعب والشفاء من الصدمات. وفي الولايات الشرقية، تدعم فرق الصحة النفسية التابعة لمنظمة أطباء بلا حدود النازحين داخليًا، واللاجئين، والمجتمعات المضيفة للتعامل مع تأثير الحرب على صحتهم النفسية. وفي كسلا، نفّذت أطباء بلا حدود مؤخرًا استجابة طارئة استمرّت عشرة أسابيع[30] في مواقع تجمع النازحين، ونظّمت 439 جلسة جماعية، وقدّمت 239 جلسة استشارية فردية وجلسة علاج باللعب للأطفال، شملت 3,938 مريضًا. وفي مستشفى تندبا في ولاية القضارف، استقبل مقدّمو الرعاية الصحية النفسية التابعون لأطباء بلا حدود أكثر من 790 مريضًا جديدًا أتوا لتلقّي المشورة منذ بداية النزاع، وقد قدّموا أكثر من 3,000 جلسة فردية. ومن بين الأعراض الرئيسية التي لاحظتها فرق المنظمة الشعور بالضيق النفسي، وصعوبة النوم، والكوابيس، واسترجاع ذكريات الماضي وغيرها من أعراض الإجهاد اللاحق للصدمة. وقد شكّلت المشاكل المرتبطة بالقلق والمزاج 64 في المئة من الأعراض الرئيسية التي تمّ التعرّف إليها منذ أبريل/نيسان 2023، وغالبًا ما كانت هذه ناجمة عن حدث مرتبط بالنزاع:

> "لقد فاقمت الحرب بشكل مباشر الأعراض مثل اضطرابات النوم، وفقدان الشهية، واضطرابات المزاج، واضطرابات ما بعد الصدمة. نقابل الكثير من المرضى الذين تم اختطاف أقاربهم أو اغتصابهم. توقّف هؤلاء عن الأكل والنوم والتفاعل مع الآخرين. ويستيقظ بعضهم في الليل ويبدأون بالصراخ بسبب الكوابيس. سبب ذلك الألم، والصدمة، والوصمة، وكلّ تلك القصص التي ليسوا مستعدين بعد لروايتها".
>
> **– أحد أعضاء فريق الصحة النفسية في أطباء بلا حدود، أبريل/نيسان 2024.**

ذكرت فرق أطباء بلا حدود الضغط النفسي وصعوبة النوم والكوابيس وتذكر الأحداث والكثير من أعراض ما بعد الصدمة. وارتفعت حالات القلق وحالات متعلقة بالمزاج إلى 64% من الأعراض الرئيسية تم رصدها منذ شهر ابريل 2023 خلال الاستشارات النفسية.

تصف إحدى المريضات التي قابلناها في مواقع تجمع النازحين بالقضارف والتي عانت من العنف في الخرطوم، تأثيرَ النزوح على سلامتها النفسية:

> "لم أستطع النوم لمدة أربعة أشهر. أشعر بالتوتر والإرهاق. استذكار ما حصل أشبه بالخيال، بالحلم. في يوم من الأيام تملك كلّ شيء، وفي اليوم التالي تفقده كلّه".
>
> **– مريضة لدى أطباء بلا حدود، القضارف، مارس/آذار 2024.**

وما يبعث القلق بشكل خاصّ في نفوس موظفي الصحة النفسية في أطباء بلا حدود هو تأثير النزاع على المرضى الذين يعانون أصلًا من حالات نفسية. وقد أوضح أحد مستشاري أطباء بلا حدود كيف أدّى العنف، والنزوح، وعدم القدرة على الوصول إلى الرعاية المتخصصة والأدوية، إلى تفاقم الحالات النفسية التي تكون موجودة مسبقًا لدى المرضى:

30 الاستجابة الطارئة لمنظمة أطباء بلا حدود في كسلا: https://msf.or.ke/news-and-resources/news/urgent-humanitarian-intervention-needed-plight-internally-displaced-people

© Faiz Abubakr

"كان للحرب عواقب وخيمة على المرضى الذين يعانون أصلًا من حالة نفسية. كان معظم هؤلاء يتلقّون العلاج في الخرطوم ومَدَني حيث كانوا يحصلون على خدمات متخصصة، ولكنّهم اضطروا إلى الفرار وتوقفوا عن تناول الدواء. وقد أدّى ذلك بالتالي إلى تفاقم أعراضهم، ممّا يزيد بدوره من العبء على أسرهم. هذا وكان بعض المرضى الذين يعانون من حالات نفسية قد شهدوا على عمليات إعدام بإجراءات موجزة عند نقاط التفتيش. ولا يتمتّع هؤلاء بإمكانية الحصول على الدواء المناسب هنا، وعندما تراودهم ذكريات الماضي، قد يبدأون بتدمير كلّ شيء من حولهم والاعتداء على الناس".

– أحد أعضاء فريق الصحة النفسية في أطباء بلا حدود، أبريل/نيسان 2024.

عندما تبقى هذه الأعراض دون علاج، يمكن أن تؤدّي بالمريض إلى إيذاء نفسه أو محاولة الانتحار. وفي الفترة الممتدّة بين أبريل/نيسان وديسمبر/كانون الأول 2023، أبلغت فرق الصحة النفسية في مستشفى تندبا الذي تديره أطباء بلا حدود في ولاية القضارف عن حالات مرضى تراودهم أفكار انتحارية (عددهم 53)، وعن محاولات انتحار (عددها 10)، ووفاة شخصين بسبب الانتحار.

"نشهد زيادة في عدد المرضى الذين تراودهم أفكار انتحارية، أو زيادة في محاولات الانتحار. لقد لاحظنا ذلك بشكل خاص لدى اللاجئين النازحين الذين كانوا قد بنوا لأنفسهم حياة جديدة وقضوا أحيانًا 20 عامًا في الخرطوم، وانتهى بهم الأمر مرّة أخرى في مخيم للّاجئين حيث ليس لديهم لا منزل ولا أقارب، وباتوا مضطرّين إلى البدء من الصفر من جديد. ويفضّل البعض إنهاء معاناته فيقرّر الانتحار".

– أحد أعضاء فريق الصحة النفسية في أطباء بلا حدود، أبريل/نيسان 2024.

وقد تأثّر الأطفال بشكل خاص وباتوا عرضةً للتوتر والقلق المزمنين. ويروي الآباء كيف أصيب أطفالهم بالتوتّر والقلق المزمنين بسبب القصف الجوّي المستمرّ، والقصف المدفعي، وإطلاق النار، وقد رافقتهم هذه الأعراض حتّى بعد مغادرة مناطق القتال. وأكّد موظفو منظمة أطباء بلا حدود أنّه ظهرت على الأطفال أعراض اضطراب ما بعد الصدمة استجابةً لبعض الأصوات المحفّزة المرتبطة بالحرب:

"أكثر ما ألاحظه خلال الاستشارات مع الأطفال الصغار هو كيف تؤدي بعض الأصوات إلى ظهور أعراض اضطراب ما بعد الصدمة لديهم. فما إن يسمعون صوت دراجة نارية أو سيارة، حتّى يبدأوا بالبكاء بشكل غريزي، أو يختبئوا، أو يصرخوا، لأنّهم يعتقدون أنّ هناك مسلّحين على باب منزلهم".

– أحد أعضاء فريق الصحة النفسية في أطباء بلا حدود، أبريل/نيسان 2024.

ويتحمّل السكان الضعفاء، سواء كانوا محاصرين في مناطق تشهد نزاعًا دائرًا، أو أجبروا على النزوح، عواقب انهيار نظام الرعاية الصحية. وفي جميع أنحاء السودان، يجد الأشخاص المحتاجون صعوبة في الحصول على الأدوية الأساسية، ناهيك عن أدوية الأمراض المزمنة الحيوية لعلاج الأمراض غير المعدية مثل مرض السكري أو ارتفاع ضغط الدم. وبسبب العوائق التي تحول دون توافر الأدوية ودون القدرة على تحمّل تكاليفها، فضلاً عن عدم القدرة على الوصول إلى مقدّمي الرعاية الصحية، يخسر الناس حياتهم بسبب أمراض ومضاعفات يمكن الوقاية منها. ويترك العنف والنزوح تأثيراً مدمّراً على الصحة النفسية للناس، مع عدم علاج الحالات وتدهور الصحة النفسيّة، ممّا يرتّب مخاطر كبيرة على المتضرّرين على المدى الطويل. وفي جميع أنحاء السودان، لا سيّما في المناطق التي يمكن للجهات الفاعلة الإنسانية الوصول إليها، هناك حاجة ماسّة إلى زيادة الاستجابة للاحتياجات في مجال الصحة، والحماية، والتغذية، بشكل كبير وفي عدّة قطاعات، وذلك لمعالجة الجروح العميقة والمفتوحة للناجين من العنف.

خاتمة ودعوات للعمل

يعيش السودان حاليًا عامه الثاني من النزاع، وتستمرّ خطوط المواجهة في الانتقال من مكان إلى آخر، وتتزايد حدّة الأعمال العدائية الدائرة، وينزح المزيد من الأشخاص، من دون أن يلوح في الأفق أيّ بوادر للتهدئة. وكما يوضح هذا التقرير، فإنّ الاعتداءات المستشرية على السكان المدنيين، بما في ذلك انتهاكات القانون الدولي الإنساني على نطاق واسع، هي أبرز ما يميّز السلوك الحالي لجميع أطراف هذا النزاع. وقد ظهر تناقض واضح بين الخطاب العام للأطراف المتحاربة وبين الواقع الحالي في السودان. فنسمع من جهة مجرّد خطابات عن دعم المبادئ الإنسانية، والقانون الدولي الإنساني، وحماية حقوق الإنسان ورفاهية الشعب السوداني، ونرى من جهة أخرى التدمير اللامسؤول لمرافق الرعاية الصحية، وانعدام الأمن المتفشي الذي يطال مقدّمي المساعدات، وأعمال القتل، والإساءة، والتعذيب ضدّ المدنيين على نطاق واسع.

يلجأ الرجال والنساء والأطفال على حدّ سواء إلى المرافق التي تديرها منظمة أطباء بلا حدود بحثًا عن العلاج من الإصابات المرتبطة بالنزاع، فيملؤون أقسام الطوارئ في الخرطوم ودارفور بعد الأحداث التي ينتج عنها إصابات جماعية. وفي المرافق الطبية، وعلى طول طرق النزوح، يقوم أطباء وممرّضو منظّمة أطباء بلا حدود بمعالجة المرضى، ورعاية الجرحى، والتعامل مع الجثث وفق الأصول، في حين تتولّى فرق الصحة النفسية التابعة للمنظّمة معالجة الجروح النفسية العميقة لدى المرضى. وعلى الرغم من كلّ هذه الجهود، لا تزال الاحتياجات الإنسانية المتزايدة في السودان غير مغطّاة إلى حدّ كبير. هذا وقد أدّت الأضرار التي لحقت بالبنية التحتية الصحية الحيوية، والعرقلة المتعمّدة من قبل السلطات لتقييد نقل الإمدادات الإنسانية عبر الحدود أو عبر خطوط المواجهة، ونهب الأصول الإنسانية على نطاق واسع، وتحويل المساعدات، إلى تقليص المخزون الطبي بشدّة وإعاقة المساعدات المنقذة للحياة. وقد تحوّلت بذلك المراكز الطبية التي كانت تعجّ بالحركة في السابق إلى أماكن خالية من خدمات الرعاية الصحية الأساسية.

بالإضافة إلى ذلك، أدّى المناخ السائد من عدم الثقة والمراقبة المشدّدة إلى اعتقال الأفراد المشتبه في انتمائهم إلى طرف أو آخر في النزاع بشكل تعسّفي، واحتجازهم، وإخضاعهم للاستجوابات، وتعريضهم لأفعال مهينة وللتعذيب. وتتكرّر حالات العنف الجنسي والعنف القائم على النوع الاجتماعي في المنازل، والمناطق الحضرية، وطرق النزوح، ولكن لا يتمّ الإبلاغ عنها بما يكفي بسبب الوصمة، وانعدام الأمن، ونقص أطر الحماية للناجين ومقدمي الخدمات، وهو أمر مثير للقلق. وفي دارفور، تذكّرنا أعمال العنف، والاضطهاد، والتشريد التي تستهدف مجموعات إثنيّة معيّنة بأنّ شبح التطهير العرقي يخيّم على حياة الكثيرين. ويذكّرنا فشل الجهود الدولية والمساعي الدبلوماسية في تأمين وصول المساعدات الإنسانية وضمان حماية المدنيين، بعمق هذه الأزمة المنسيّة إلى حد كبير. وسواء في الشوارع، أو المستشفيات، أو الأسواق، يستمرّ الشعب السوداني في دفع الثمن الإنساني لهذا النزاع، في ظلّ غياب أنظمة دعم فعالة. ومن الضروري أن تحترم جميع أطراف النزاع القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان وأن تفي بالتزاماتها المتعدّدة بإنهاء معاناة المدنيين عبر إحداث تغيير مستدام وملموس. وكلّ ما دون ذلك سيكون بمثابة إدانة دامغة للسلوك المختار في هذا الصراع.

© MSF/Sudan

وبالنظر إلى النتائج الطبية المذكورة أعلاه, والروايات الصادمة للمرضى, تدعو أطباء بلا حدود:

القوات المسلحة السودانية وقوات الدعم السريع وكافة الجماعات المسلحة إلى:

- حماية المدنيين فورًا: احترموا التزاماتكم الدولية والتزموا بتعهداتكم التي قطعتموها في جدة وفي العديد من التصريحات العامة.
- وقف الهجمات على المدنيين: الوقف الفوري لجميع الهجمات على المدنيين والمناطق السكنية.
- ضمان ممرّات آمنة: تأمين طرق آمنة للفارين من العنف داخل السودان ونحو البلدان المجاورة.
- حماية البنى التحتية: حماية المستشفيات والمرافق الطبية, واحترام المناطق الخالية من الأسلحة وسلامة المرضى والموظفين.
- تسهيل وصول المساعدات: السماح بوصول المساعدات الإنسانية دون عوائق وضمان وصول الإمدادات والموظفين إلى الذين يحتاجونها, فعلى المساعدات أن تصل إلى الأشخاص المحتاجين عبر الحدود وعلى خطوط المواجهة.
- إنهاء العنف وسوء المعاملة: وقف جميع أشكال العنف, بما في ذلك الاغتصاب, والعنف الجنسي, والعنف الإثني, والنهب, وسوء المعاملة.

الدول الشريكة (الولايات المتحدة, الإمارات العربية المتحدة, المملكة العربية السعودية, تشاد, روسيا, مصر) إلى:

- ممارسة الضغط على الأطراف المتحاربة: استخدموا نفوذكم وقربكم من الأطراف المتحاربة لوقف العنف المتعمّد ضدّ المدنيين والعاملين في المجال الإنساني.
- إعطاء الأولوية لحماية المدنيين: اجعلوا من سلامة المدنيين نقطة التركيز الأساسية في جميع محادثاتكم مع القوات المسلّحة السودانية وقوات الدعم السريع.

الأمم المتحدة إلى:

- نشر هذه الدعوة على أوسع نطاق: الدعوة بشكل صارم إلى احترام القانون الدولي الإنساني والقانون الدولي لحقوق الإنسان.
- حماية المدنيين: الإصرار على حماية المدنيين وعلى وصول المساعدات الإنسانية دون انقطاع.
- إعادة إقامة تواجد لها: توسيع نطاق الوجود الميداني وخدمات الحماية للناجين من العنف.
- إنشاء هيئات مراقبة: النظر في إنشاء هيئات لمراقبة المدنيين بشكل فعّال وحمايتهم.
- تعزيز تفويض مبعوث الأمين العام للأمم المتحدة إلى السودان الخاص بحماية المدنيين.

اللجنة العليا للاتحاد الأفريقي المعنية بالسودان والهيئة الحكومية الدولية المعنية بالتنمية إلى:

- اتخاذ إجراءات فوريّة: استخدموا جميع الوسائل المتاحة لضمان حماية المدنيين وقدرتهم على الوصول إلى المساعدات الإنسانية.
- زيادة الرقابة: تكثيف الرقابة على العنف ضد المدنيين والعاملين في المجال الطبي والإنساني.

الجهات المانحة, والمجتمع الإنساني, ووكالات الأمم المتحدة إلى:

- توسيع نطاق الاستجابة: تعزيز الخدمات في جميع القطاعات, بما في ذلك الاستجابات المستهدفة للناجين من العنف.
- دعم طالبي اللجوء واللاجئين: تلبية الاحتياجات الإنسانية للأشخاص الذين يبحثون عن الأمان بشكل كامل.

جميع الأطراف المعنية إلى:

- المطالبة بالمساءلة: استخدموا جميع الوسائل المتاحة لمحاسبة القوات المسلحة السودانية, وقوات الدعم السريع, والأفراد والكيانات التابعة لها, على أعمال العنف واسعة النطاق التي ارتُكبت ضد المدنيين في هذا النزاع.

Médecins Sans Frontières | Doctors Without Borders

msf.org

MEDECINS SANS FRONTIERES
أطبّاء بلا حدود